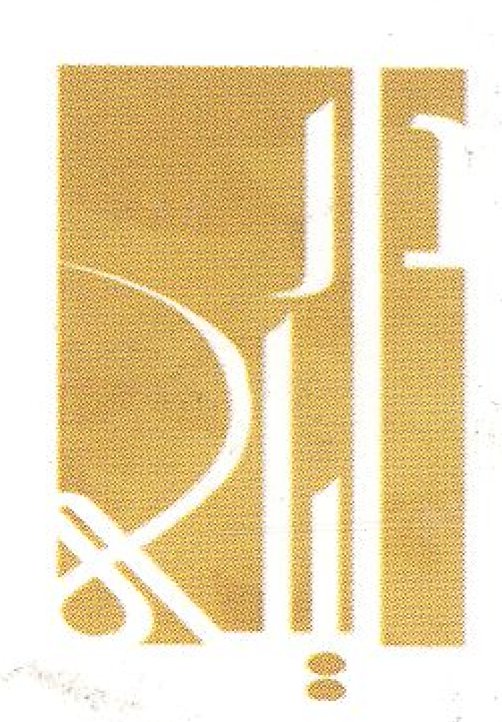
23 يوليو

ثورة لها جذور

جمال الدين فيروز أبو عوف



جمال الدين فيروز أبو عوف

23 يوليو

ثورة لها جذور

دار ليلى

23 يوليو

الكتاب:
ثورة 23 يوليو ..
ثورة لها جذور
المؤلف:
جمال الدين فيروز
رقم الإيداع:
2007/27220
الغلاف والتجهيزات:
دار ليلى
المدير التنفيذي:
أ. أحمد عبد المنعم
الإشراف العام:
أ. محمد سامي
* * *

دار ليلى
جمهوريـــــة مـــــصر العربيـــــة-
23 ش الـــــسودان الـــــدقي-
هاتف: 33370042

الموقع: www.darlila.com

جمال الدين فيروز

ثورة 23 يوليو ..
ثورة لها جذور

دار ليلى

إهداء

إلى سيدي ومعلمي؛ والدي الغالي، الذي تعلمت من نصف تعليمه ما لم أتعلمه في حياتي الدراسية، والذي أدين له أولا وأخيرا، والذي أرشدني إلى طريق القراءة والتثقف.

إلى سيدتي صاحبة الحضن الدافئ، والدتي الغالية التي زرعتْ فيّ روح الصبر.

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء، الذين سادت بيننا روح المحبة والتمسك الأسري، و إلى أبنائهم.

إلى زوجتي العزيزة التي دائما ما أجدها سندًا لي.

إلى ابني العزيز بشار.. الذي ولدتْ معه روح الأمل.

إلى أساتذتيْ الأفاضل في مدرسة منارة جدة عام 1980، ومنهم

الأستاذ عباس مدرس اللغة العربية، وأستاذ أحمد، والأستاذ جميل معلم اللغة الإنجليزية وجميع المدرسين المصريين في المدرسة..

إلى صديقي العزيز الذي ظل يطاردني في كل لحظة لتنفيذ هذا الكتاب وساعدني في إخراجه.

إلى أصدقائي الأعزاء فردًا فردًا، داخل (مصر) وخارجها..

إلى كل من ساعد في تكويني العلمي والفكري والثقافي، إلى كل من أعتز بهم ويعتزون بي..

والحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

***


تمهيد

23 يوليو

23 يوليو يومٌ نحت في ذاكرة التاريخ المصري والعربي.. ويعتبر ذلك اليوم فاصلاً بين زمني الملكية والجمهورية، فكانت ثورة يوليو 1952 التى أسقطت الأسرة العلوية التي حكمت (مصر) قرابة 150 عامًا، وإعلان عن ولادة جديدة للنظام السياسي والاجتماعي وهي (الجمهورية).

لم تكن ثورة يوليو وليدة عامها؛ بل كانت ثمرة كفاح ونضال طويل قام به الشعب المصري منذ احتلال (بريطانيا) لمصر عام 1882.. خرج من كنفه زعماء وطنيين أرادوا لبلادهم الاستقلال وعدم التبعية ولكنهم لم يصلوا إلى ما يصبوا إليه؛ فكان (أحمد عرابي) الذي قاد حركة عسكرية مدعومة من الشعب قبيل الاحتلال، مطالبًا الخديوي (توفيق) بحركة إصلاح داخل الجيش وإعطاء الضباط المصريين حقوقـًا في الترقية والقيادة، بعد أن كان الضباط (الأتراك) و(الجراكسة) يسيطرون على قيادة الجيش والنظارات (الوزارة) دون ارتقاء المصريين لهذه المناصب، وكذلك الإمام (محمد عبده) الذي كان يطالب بالإصلاح وإقامة الحياة الدستورية والتجديد في الخطاب الديني، ومن قبله شيخه (جمال الدين الأفغاني) الذي لم يكن مصريًا؛ وكان يدعم الزعماء في المطالبة بأن ينال

الشعب المصري حقوقه.. و(عبد الله النديم) خطيب وشاعر الثورة العرابية الذي كان يُلْهِب حماسة الشعب بأشعاره وكتاباته الساخرة، وخطبه الناقدة للنظام المصري الذي يُبخس حق المصريين ويعطي الأتراك والألبان والجراكسة مميزات ومناصب عليا داخل النظام الحاكم.

كانت مقهى (ماتاتيا) ملتقي رجالات (مصر) مقصدًا للشباب المصري الثائر الغيور على حريته وحرية بلادهم، ومنهم (مصطفي كامل)، (سعد زغلول)، (قاسم أمين)، (محمد فريد).. هذه الفئة من الشباب أصبحوا الورثة الشرعيون للحركة الإصلاحية في (مصر) التي بدأها (عرابي) ومن معه، وتحولت إلى حركة تحريرية استقلالية بعد أن طلب (الخديوي توفيق) من (بريطانيا) التدخل لحماية عرشه من تلك الشرذمة التي التف حولها المصريون؛ فنُفِيَ منهم من نُفِيَ، ومات من مات وسُجن مَن سجن.. ولكن لم تسجن الثورة؛ بل ازداد لهيبها في نفوس الشعب الذي استلم الراية من زعمائه وانطلق إلى طريق التحرير، وكانت البداية..

***



أحمد عرابي، أثناء قيادته للثورة


الجذور

الاحتلال

منذ عام **1840** إلى منتصف عام **1882**، كانت (مصر) عمليًا دولة مستقلة باعتراف الدول التي أقرت هذا الاستقلال وسجلته في معاهدة (لندن) المبرمة في عام **1840**، وكانت تدبر شئونها بنفسها دون تدخل من أية دولة أجنبية طوال 42 عامًا، ولم يكن على هذا الاستقلال إلا قيد واحد، هو قيد السيادة العثمانية التي كانت رمزيًا ومظهريًا فقط، بدفع مبلغ سنوي من المال يُدفع إلى الحكومة التركية وقدره 75 ألف ليرة عثمانية.

وفي **11** يوليو عام **1882** اعتدت (بريطانيا) على (مصر) اعتداءً عسكريًا، ودمرت مدينة الإسكندرية بمدافع أسطولها، وبدأت عمليات الزحف والمعارك الحربية التي انتهت باحتلالها لجميع الأراضي المصرية بعد انتصارها على زعيم (مصر) (أحمد عرابي) الذي استسلم في النهاية.

كان لهذا الاحتلال أسبابٌ بعضها حقيقية وبعضها زائفة، أما الأسباب الحقيقية فهي شهوة الاستعمار البريطاني ورغبته في

الاستيلاء على مركز جغرافي استراتيجي من الطراز الأول، والاستمتاع بما في (مصر) من خيرات وموارد وثروات.

أما الأسباب الزائفة فهي توطيد عرش الخديوي بقمع (الثورة العرابية) وحماية الأجانب وممتلكاتهم وإعادة الأمن والنظام إلى نصابهما.

وقد أُعلن في أول يوم أنه احتلال مؤقت ينتهي بانتهاء تحقيق الأهداف التي ذكرناها.. لكنه احتلال زائف قام على الخداع وذر الرماد في العيون.

ولم تمضِ خمسة أيام على دخول (بريطانيا) القاهرة حتى أزالوا الجيش المصري من الوجود؛ إذ استصدروا مرسومًا من (الخديوي توفيق) بحل الجيش وإلغائه وتشريد ضباطه وجنوده إلى قراهم، وتجريد معظم الضباط من الرتب العسكرية وحرمانهم من حقهم في المعاش.



الخديوي توفيق

وبعد إلغاء الجيش بثلاثة أشهر تمت محاكمة (عرابي) وصَحْبه، وتم نفيهم إلى جزيرة سيلان في 27 ديسمبر 1882، وتم إنشاء جيش مصري صغير يرأسه ضباط من الإنجليز وعدد محدود من الضباط المصريين.. ثم بدأت عمليات السيطرة على أوسع نطاق؛

على قوات البوليس والأمن في (القاهرة) و(الإسكندرية) و(بورسعيد) وذلك بتعيين (حكمداريين) وعدد كبير من الضباط والمفتشين الإنجليز وإنشاء مكاتب المخابرات – كما تمت في هذه الفترة الوجيزة سلسلة من الإلغاءات الخطيرة؛ فألغيت البحرية المصرية والمصانع الحربية كما ألغيت كل القوانين الخاصة بالإصلاحات العسكرية التي سبق أن طالب بها (العرابيون) في إلحاح وإصرار حتى حصلوا عليها، ثم ألغي مجلس النواب.

اليأس

تسع سنوات مضت منذ الاحتلال البريطاني من يأس وقنوط واستسلام من جانب الأمة، فالثورة العرابية بما انتهت إليه من الإخفاق والهزيمة قد أثرت في الحالة المعنوية للأمة تأثيرًا سيئًا. ولأن إخفاقات الثورات في ذاته يبعث اليأس في النفوس، هذا إلى أن الخاتمة التي انتهت بها الثورة وما أفضت إليه من الاحتلال؛ هي مظهر بارز لخيبة الأمل، إذ أن الثورة التي قامت في الأصل لإنالة البلاد حريتها السياسية قد انتهت بالعكس؛ بفقدان هذه الحرية ثم بفقدان الاستقلال التي كانت تتمتع به من قبل.

فنهاية الثورة العرابية كانت من أسبابها؛ انحلال المقاومة الشعبية في أوائل الاحتلال، فإن روح الخضوع والاستسلام قد تسربت إلى صفوف الأمة، فركنت إلى الإذعان وظلت هذه الروح هي الغالبة على الأمة بكافة أطيافها سنوات عديدة، إذ ليس من السهل أن

تتخلص الأمم من أمثال هذه الحالة المعنوية؛ بل قد تمر عليها أجيال وأجيال، وهي تراها حالة عادية لا غضاضة فيها ولا غرابة منها، حتى تظهر فيها زعامة جديدة تـنـفـض عنها غبار اليأس والذل، وتبعث فيها روح الحياة والكرامة فلا تتغير نفسية الأمة إلا بتأثير عوامل وشخصيات قوية تبعث فيها دمًا جديدًا قويًا.

في هذه السنوات شَهِـدتْ البلادُ التواءَ السياسة البريطانية ونقضها لمواعيدها في الجلاء.. شَهِـدتْ جمودَ الدولِ الأوروبية تجاه القضية المصرية، وتركها (انجلترا) تعبث كما تشاء باستقلال (مصر) وحقوقها.. شهدتْ خضوعَ الحكومة المصرية لأوامر القنصل البريطاني، شهدتْ إلغاءَ الجيش كما أسلفنا، شهدتْ النفوذَ البريطاني يتغلغل في شئون الحكومة كافة؛ من سياسية وحربية ومالية وتشريعية وإدارية.. شهدتْ إلغاءَ الدستور التي نالته عام 1882 وتأليف هيئة صورية للشورى لا حول لها ولا قوة، ثم شهدتْ فوق ذلك استسلام رجالات (مصر) لإرادة المندوب السامي البريطاني، وتقرب أكثرهم إليه؛ فصار اللورد (كرومر) هو صاحب الأمر والنهي في شئون الدولة.

البعث

بعد حالة اليأس والاستسلام التي حلت على الأمة واعتقال وطرد وتشريد زعماء الثورة العرابية، كان لابد من وجود زعيم يَدبُّ الحياة في أوصال الأمة المصرية ويعيد الحياة إلى الجسد الذي

كاد أن يعدم ويندثر.. فكان لـ(مصطفي كامل) الفضل في بعث جسد الحركة الوطنية من جديد وإشعال الثورة في نفوس المصريين مرة أخري، وإسماع صوت (مصر) في المطالبة بحقوقها واستقلالها..


مصطفى كامل

فكان (مصطفي كامل) في مدرسة الحقوق عندما أنشأ جريدة (المدرسة) في عام **1893**، ثم أخذ يُرسل مقالاته إلى الصحف المصرية والأوروبية، وقد رأى أنه لابد من جريدة يومية يتصل بالرأي العام بواسطتها باستمرار، ويغذي بها عقول المصريين ونفوسهم وقد اختار لهذه الجريدة اسم (اللواء)؛ إذ كان اللواء هو الراية التي التف حولها الوطنيون سنوات عديدة، وكان ظهور (اللواء) من أبرز أعماله وأكبرها أثرًا في الشعب وفي الحركة الوطنية، وصدر العدد الأول منه في يناير سنة **1900**.

بدأ (مصطفي كامل) جهاده سنة **1895** عندما قابل شقيق اللورد (كرومر) وهو الكولونيل (بارنج) على ظهر الباخرة التي أقلته عند عودته إلى (مصر) من باريس، إذ انتهز فرصة مقابلته إياه ليرفع صوته بالدفاع عن استقلال (مصر)، وكان رأي الكولونيل أنه

من الضروري بقاء الاحتلال في مصر، ويرى (مصطفى كامل) ضرورة الجلاء وأنه حقٌ لمصر وواجبٌ على (إنجلترا) وفقًا لعهودها واحترامًا لمواثيقها.. وعندما سأله (بارنج)، مَن للمصريين من الأنصار أو السفراء في أوروبا يعتمدون عليهم من قرب تحقيق الجلاء؛ قال له (مصطفي كامل):

"لنا (أوروبا) بأسرها التي تناديها صوالحها العديدة بأن تنصرنا بنصرة تلك الصوالح (المصالح)، التي سعيتم من يوم احتلالكم البلاد في تقويض أركانها على أنها لم تنصرنا، فإن لنا من حقنا واتحادنا بوصف أننا أمة عظيمة ذات حضارة قائمة مأثورة، ما نبلغ بهما ما نصبوا إليه من حرية واستقلال"..

ونُشر هذا الحديث في الأهرام.

استمر (مصطفي كامل) في حركته الوطنية وظل يكتب عن قضية (مصر) واستقلالها داخل البلاد وخارجها، وطالب بإعادة الدستور والعمل على إنشاء مجلس نيابي يمثل الأمة، ويعيد الحياة النيابية إلى سابق عهدها إبان الثورة العرابية.. ووقفت معه العديد من طوائف الشعب المصري الذي اشتعل ثورة من جديد، وانضم إليه وإلى حزبه الآلاف من المصريين –وكتب في صحيفته عن الحياة النيابية

"ليس للاحتلال مصلحة في إيجاد مجلس نيابي في هذه البلاد، ولكن صوت الأمة يعلو على صوته؛ إذا تمسكت به وطالبتْ

وجاهدتْ بقوة الرأي والفكر والثبات، التي هي أكبر القوى الفعالة في حياة الأمم؛ فلتفعل.. فإنما هي خطوة في طريق الاستقلال"

وكانت كل خطوة يخطوها (مصطفي كامل) في حياته الجهادية يلقي الدعم والتأييد من الشعب المصري، الذي رأي زعيمًا يظهر من جديد، ليعيد إلى (مصر) كرامتها واستقلالها.

***

الوفاق الودي

في عام **1904** قامت (انجلترا) و(فرنسا) بإبرام اتفاقية بينهما سميت بالوفاق الودي لمقاومة التحالف الثلاثي بين (ألمانيا) و(النمسا) و(إيطاليا)، وكان الجزء الخاص بمصر أهم نصوص هذا الاتفاق فقد أعلنتْ (انجلترا) في المادة الأولي منه أنها ليس في نيتها تغيير الحالة السياسية لمصر، وتعهدت الحكومة الفرنسية من جانبها بأن لا تعرقل عمل (إنجلترا) في هذه البلاد؛ لا بطلب تحديد أجلّ الاحتلال البريطاني، ولا بأي صورة أخري، مقابل التزام الحكومة البريطانية أن لا تعرقل عمل (فرنسا) ومصالحها في مراكش (المغرب).. كان لهذا الاتفاق تأكيدًا من القوي الاستعمارية بعدم الانسحاب من المنطقة، وتأكيدًا لتوطيد الاحتلال.

فخرج (مصطفي كامل) إلى (أوروبا) لتعريف المجتمع الأوروبي بالقضية المصرية، وحقوقها الواجب أن تنالها بأي شكل من

(بريطانيا) التي تؤكد في كل خطوة تخطوها، أنها لن تخرج من (مصر) لما لها من موقع استراتيجي هام، وقامت سياسة المحتلين في (مصر) على العنف والمخاشنة والعراك والقسوة والتوعد، بدوام الاحتلال وبدأ (كرومر) يسجل في تقاريره السنوية التي اعتاد على رفعها إلى حكومته في (لندن) ذمّ المصريين وبيان مدى تأخرهم في كل ناحية من نواحي الحياة، وكان يتحدث بلسان الحاكم المطلق في (مصر) الذي لا يعقب لرأيه ولا استئناف لحكمه بل أنه فى ذلك جاوز كل حد معقول إذ هجم على الإسلام وزعم أنه العقبة فى سبيل تقدم المصريين ومشاركتهم في الحضارة الغربية، وفي قصورهم وعجزهم عن حكم أنفسهم حكمًا صالحًا، وكان يهدف إلى تيئيس المصريين حتى لا يفكروا مجرد تفكير في نيل استقلالهم.

حادثة دنشواي (1906) :

وقد وقعت في تلك الحقبة السوداء حادثة (دنشواي) الشهيرة، نذكرها على سبيل المثال كمظهر من مظاهر العنف والخشونة والقسوة والوحشية، التي امتازت بها سياسة (بريطانيا) في معاملة المصريين ورغبتها في إعطائهم درسًا لا ينسونه على مر السنين ، كان جنود الاحتلال يصطادون الحمام ببنادقهم ويعبثون بالحقول ، أصيبت امرأة بطلق نارى من أحد الجنود أدى إلى وفاتها ، ثار الفلاحين ولاذ الجنود بالفرار خشية الفتك بهم وفى القرية أصيب أحدهم بضربة شمس فقد فيها توازنه وسقط على الأرض وجاءه أحد

الفلاحين ليرى أن كان حياً أو ميتاً ، إذ وجده صريعاً وسرعان ما تجمع الجنود حول الرجل يعتقدون أنه قتل زميلهم فقتلوه .

قامت السلطة العسكرية البريطانية بعقد محاكمة للفلاحين وشارك فى الادعاء مجموعة من رجال القانون من بينهم (بطرس غالى) و (فتحى زغلول) شقيق (سعد زغلول) الذى أطلق عليه (مصطفى كامل) (الجلاد).

حُكِمَ على الفلاحين بالشنق والجلد، وما أن وصلت أصداءُ الحادثة إلى أسماع (مصطفي كامل) أثناء وجوده في (فرنسا) للعلاج؛ حتى قام بحملة إعلامية ضد الاحتلال البريطاني وتعريف العالم بتلك الحادثة ليحرك الضمير الإنساني، فكتب في صحيفة (الفيجارو) الفرنسية مقالة كبري نُشرت في صدر الجريدة بعنوان "إلى الأمة الإنجليزية والعالم المتمدن" وقد استطرد فيها جهاد المصريين في سبيل الاستقلال، وبيّن أن حادثة (دنشواي) قد قضت على مزاعم اللورد (كرومر) فيما كان يذيع أن الفلاحين يحبون الاحتلال الإنجليزي.

وأسمع العالمَ صوتَ (مصر) عاليًا مدويًا إذ قال:

"إن مقصدنا الذي نرمي إليه هو استقلال وطننا، ومحال أي شيء ينسينا ذلك المقصد".

دوّت الحملة في (أوروبا) دويًا عظيمًا، وتناقلتها الصحف في مختلف البلاد، وكتبت مجلة بريطانية بحق مصر فى حكومة مستقلة..

وكانت للحملة، صدى واسع في البرلمان البريطاني، فانبرى بعض النواب الأحرار يلقون على اللورد (كرومر) تبعة الحادث مستنكرون المحاكمة والتنفيذ، ولم ينته (مصطفي كامل) على مقالته في الصحف؛ بل سافر إلى (إنجلترا) وقابل الكثير من رجال السياسة وأعضاء البرلمان البريطاني والصحفيين، وحادثهم في حادثة (دنشواي)، وحوادث (مصر) وسياسة (إنجلترا) فيها، وانتهز فرصة هذه الحادثة ليرفع صوت (مصر) عاليًا مطالبًا بالاستقلال، فهو لم يحصر دعايته في الحادثة بذاتها، بل وسع مطالبه بحقوق مصر.

لاقت حملة الزعيم (مصطفي كامل) ومطالبه بحقوق بلاده صدى واسعًا في (أوروبا)، وأثمرت عن اشتداد ساعد الحركة الوطنية بانضمام جمهرة كبيرة من المصريين إليها، إذ شعروا بأن (مصطفي كامل) على حق في جهاده للاستقلال، وأن المصري لا كرامة له حقًا في ظل الاحتلال، وكذلك اهتمت الصحف العالمية بالقضية المصرية، وأدركت الحكومة البريطانية أن سياستها في (مصر) تحتاج إلى تغيير، وقوام هذا التغيير أن بقاء اللورد (كرومر) في منصبه أصبح أمرًا غير مرغوب فيه، وأنه لابد من إسناد بعض المناصب الرئيسية إلى المصريين وإطلاق يدهم في شئونهم.

اشتد المرض على الزعيم الكبير، لكنه لم يكن حائلاً بينه وبين كفاحه بالرغم من إنشائه للحزب الوطني من قبل، إلا إنه أعلن عن قيام الحزب وعمل مؤتمرًا له حتى ينضم إليه الآلاف من المصريين

الذين التفوا حول زعيمهم، وأعلن عن مبادئ الحزب في أول مؤتمر له ..

وفي 10 فبراير 1908 توفي الزعيم (مصطفي كامل) وهو في ريعان شبابه، وَفُـجعت الأمة لانطفاء الشعلة التي أضاءت لهم الطريق ومهدت لهم معالم الجهاد.

وخرجت (مصر) كلها تشيع زعيمها وتودعه، وتؤكد على إكمال مسيرته تحت شعاره الذي أعلنه في مؤتمر حزبه "أن مصر للمصريين"، وحمل (اللواء) من بعده رفيق دربه وكفاحه (محمد فريد) الذي لم يَقل زعامة وتأثيرًا في الحركة الوطنية عن سلفه، فقاد الحركة واستهدف لمحاربة قوتين متحالفتين؛ قوة الاحتلال، وقوة الحكومة،فصمد للحرب يتلقاها من الناحيتين، وناله من أذاهما وشرهما ما ناله، وحوكم سنة 1911 في تهمة صحفية لا أساس لها من الحق؛ فحُكِمَ عليه بالسجن ستة أشهر، فكانت سنة 1911 بداية المحن التي أصابته في حياته لم يهن ولم يضعف بل خرج من سجنه قوي العقيدة ثابت الفؤاد، ومضي في طريقه واستخدم الوسائل والأسلحة التي ساهم فيها مع سلفه، وزاد عليها المؤتمرات التي عقدها في (أوروبا) فاشترك في مؤتمر الشبيبة المصرية (بجنيف) سنة 1909 وفي مؤتمر السلام العام بـــ(استكهولم) في أغسطس سنة 1910، وأسمعَ صوتَ (مصر) للعالم، ودافع عن مطالبها وترجم عن آمالها في الاستقلال وشكايتها من الاحتلال، وكان لهذه المؤتمرات صداها في مصر؛ إذ كانت تقوي في نفوس الأمة

روح المقاومة، وَتعَوَّد أبناءها النضال والكفاح، وصقلت أذهانهم وغرست فيهم روح الوطنية والفضائل القومية، حمل الزعيم لواء الحركة الوطنية وضحى بماله يبذله عن سخاء في الدفاع عن القضية الوطنية، وضحى بوظيفته في سبيل الاستمساك بمبدئه.. ضحى بالمناصب والرتب والألقاب التي ينالها لو سلك مسلك غيره في تأييد الاحتلال، وضحى براحته وصحته وآمال الشباب في رغد الحياة ورفاهة العيش، نُفِيَ الزعيم سنة **1912** وأخذ من منفاه نقطة انطلاق أخرى لجهاده.


محمد فريد

استمر (محمد فريد) في طريق الكفاح خارج (مصر) ولم يترك فرصة إلا وأعلن فيها عن قضية مصر، وأرسل برقيات إلى كل مؤتمر يعقد في أوروبا؛ لتتعرف على قضية مصر، ولما اجتمع مؤتمر (برست ليتوفسك) للصلح بين (ألمانيا) و(روسيا)، كان (محمد فريد) في (المانيا) وأرسل للمؤتمر رسالة برقية في يناير **1918** بالمطالبة بتقرير استقلال مصر، وشفعه بتقرير للمؤتمر أثبت فيه أن مسألة (مصر) ليست مسألة عثمانية بل هي مسألة دولية، وطلب فيها باسم (مصر) الاعتراف بحق الأمة

المصرية في أن تقرر بطريق الاقتراع العام مصيرها، ورغبتها في الطريقة التي تريد أن تحكم نفسها بها، على أن يسبق الاقتراع جلاء الجيش الإنجليزي عن (مصر) وكذلك الموظفين الأجانب، لم يكن منفى (محمد فريد) مكانًا لسجنه، بل كانت مرحلة جهادية شاقة، استطاع خلالها أن يكمل مسيرة سلفه العظيم، واتساع نطاق الحركة الوطنية، ولكن خمدت نيران الحركة الوطنية في الداخل لعدم وجود زعيم يحمل لوائها بعد نفي (محمد فريد)، والذي استمر في منفاه حتى وفاته 15 نوفمبر 1919، وقبل وفاته بأشهر قليلة علم أن بداية نهوض في الحركة الوطنية في مصر قامت من جديد، فأيدها وباركها وأرسل برقية تأييد لرجل الحركة الجديد.

***

الحماية البريطانية

ما كادت (بريطانيا) أن تدخل الحرب العالمية الأولي حتى خولت لنفسها أن تتمتع قواتها العسكرية بكافة حقوق الحرب في جميع المدن المصرية وموانيها، والانتفاع بجميع وسائل المواصلات المصرية برًا وبحرًا وجوًا، والاستيلاء على الأراضي المصرية وكأن (مصر) مستعمرة من مستعمرات التاج البريطاني، ثم ما لبث أن لجأت إلى إجراءات مشددة كمنع الحكومة المصرية من التعامل مع (ألمانيا) و(النمسا) و(المجر).. واستولت على جميع السفن الألمانية والنمساوية الراسية في الثغور المصرية، كما أصدرت أمرًا عسكريًا بمنع التجمهر

والعقاب الشديد له، وما أن دخلت (تركيا) الحرب ضد (بريطانيا) حتى أعلنتْ الأحكام العرفية، واكتظت شوارع القاهرة والإسكندرية وبورسعيد بالثكنات العسكرية وبجنود من جميع الأجناس والألوان، وأصدر القائد العام البريطاني أمرًا عسكريًا يحذر فيه جميع المصريين من عمل أي شيء من شأنه الإخلال بالنظام والأمن العام، وانتشر في القاهرة جوًا من الإرهاب واعتقل عددًا كبيرًا من المصريين الوطنين، لاسيما المنتمون للحزب الوطني، وتحولت (مصر) كلها إلى قاعدة حربية للحلفاء، حتى خيل للرأي العام أن عدد الجنود الأجانب لا يقل عن عدد المواطنين.

وإلى جانب الأعمال العسكرية قامت (بريطانيا) بالقيام بأعمال مدنية مريبة، حيث استقدمت إلى القاهرة الأمير (حسين كامل) من الإسكندرية، وحضر الأمير إلى منزل رئيس الوزراء في ذلك الوقت (حسين رشدي) باشا وتوجها معه إلى المندوب السامي البريطاني.

انتشرت في القاهرة إشاعات كثيرة حول هذا الاستدعاء المفاجئ في غياب الخديوي، الذي كان يقيم في ذلك الوقت في (الأستانة) لقضاء إجازته هناك، وقامت الحرب أثناء تواجده هناك وعرض على الأمير (حسين كامل) العرش وعزل الخديوي.

وفي 18 ديسمبر 1914 أعلنت (بريطانيا) حمايتها السافرة الرسمية على (مصر)، وأعلن وزير الخارجية البريطاني إعلان وكان نصه: "يعلن وزير الخارجية لدى حكومة جلالة ملك (بريطانيا)

العظمي، أنه بالنظر إلى حالة الحرب التي سببها عمل تركيا؛ قد وضعت (مصر) تحت حماية جلالته وأصبحت من الآن فصاعدًا من البلاد المشمولة بالحماية، وبذلك زالت سيادة تركيا على مصر)".

وفي اليوم التالي من إعلان الحماية أعلنت (بريطانيا) عن عزل الخديوي (عباس حلمي) لانضمامه إلى أعداء بريطانيا، ورفضه التعاون معها، وعرضت العرش كما أسلفنا على الأمير (حسين كامل) باشا أكبر الأمراء الموجودين من سلالة (محمد علي) باشا، فقبله ولقب (حسن كامل) باللقب السلطاني، وظل الوزراء في كراسيهم الوزارية منفذين لأوامر المحتلين، وزادت (بريطانيا) مسيطرة على كل أمور الدولة المصرية وتثبيت دعائم الاحتلال بعد إعلان الحماية وتدخلها السافر في عزل وتعيين من تراه مناسبًا للتعاون معها، فبعد وفاة السلطان (حسين كامل) قامت بتعيين السلطان (أحمد فؤاد) وتنظيم قانون لوراثة العرش.

ومرت سنوات الحرب ولم تستطع الحركة الوطنية أن تخرج زعيمًا يقودها إلى طريق الاستقلال، بل انتظرت سنوات ليست طويلة يحدوها الأمل في ظهور الزعيم المنتظر بعد وفاة (مصطفي كامل) ونفي (محمد فريد)، وفي ظل قبضة الإنجليز وحكومتها وماليتها وجيشها وبوليسها لا تسمح بقيام ثورة على أي نطاق، لا سيما أن الأحكام العرفية وقانون التجمهر والاعتقالات تُمارس على أوسع نطاق، ولكن من جهة أخرى لا يمكن أن يموت الشعب

المصري خنقًا ويأسًا وكبتًا، وظل سؤالاً يلوح في الأفق.. سؤالاً دائمًا ما كان يتردد في الحياة الوطنية: ما الذي تحتاج إليه الثورة إذن حتى تنفجر كالبركان؟..

وكانت الإجابة أن الثورة تحتاج إلى ثلاثة عوامل لكي تخرج من الكبت إلى الانفجار وهي:

1 – الأمل الحافز فى الاستقلال.

2 – الزعامة القادرة على قيادة النضال.

3 – الشرارة التي تحدث الانفجار.

ظهور الزعيم



سعد زغلول

في أكتوبر عام 1918 – وكان الشهر الأخير من الحرب– أنتشر شعورٌ عام بأن الحرب وشيكة الانتهاء، وأن شمس السلام تؤذن بالإشراق، فقد انهزمت (تركيا) واستسلمت، والجيوش الألمانية تنسحب باستمرار من كافة الميادين،

وأجمع أبناء الحرب على قرب عقد هدنة.

وفي هذه الأثناء برز على كل لسان في كل مكان اسم (سعد زغلول) باشا وكيل الجمعية التشريعية المُنتخب، وقد تم انتخابه لعضوية الجمعية وكيلاً لها رغم جهود الوزارة في محاربته، وقد أثبت بنشاطه وهمته في جميع جلسات هذه الجمعية أنه رجلُ كفاحٍ وصراعٍ؛ فعقدت عليه زعامة المعارضة، وكان مثيرًا للإعجاب، وقد انتشر على ألسنة أصحابه ومعارفه أن ما خفي من مزايا (سعد) ومواهبه أضعاف أضعاف ما ظهر منه حتى الآن.. رجل فذ له من الشباب نشاطه وجرأته وحماسه، وله من الشيخوخة سنها ونضجها وحكمتها، وله من الرجولة عزمٌ وإرادة لا تلين، وله في الحياة علمٌ مستفيض وتجارب ثمينة وعديدة، وله في وطنيته اعتزازٌ رائع بمصريته؛ حملة على كثير من التحدي والمفاخرة بأنه فلاح أبن فلاح من أجداد مصريين أقحاح، وكان شعوره بمذلة الاحتلال وإهانة الحماية شعورًا عميقًا غاية العمق، وقويًا غاية القوة، أليمًا غاية الألم؛ فكان الزعيم المنتظر.. وهذه هي مواهبة وصفاته البارزة المعروفة لأصدقائه وخصومه على السواء، وكأن الأقدار قد فصّلته تفصيلاً يتواءم مع حاجات البلاد في حاضرها، وما يدخره له الغيب في مستقبلها القريب.

في الشهور الأخيرة من الحرب وفي يناير **1918** ظهرت مبادئ الرئيس الأمريكي (ويلسون)، ومن بينها المبدأ الخاص الذي ينص

على حق الشعوب في إقرار مصيرها.

وكانت هذه المبادئ هي الأمل الحافز في الاستقلال الذي عقد المصريون عليه الأمل في المطالبة باستقلال بلادهم بعد نهاية الحرب.

قام (سعد زغلول) بتأليف وفد للسفر إلى مؤتمر باريس لعرض قضية مصر، وتقرير مصيرها، وتكوّن الوفد من (سعد زغلول) باشا و(عبد العزيز فهمي) بك نقيب المحامين، و(علي شعراوي) باشا عضو الجمعية، و(أحمد لطفي السيد) بك، وكان الأخيران من رجال (مصر) الأكفاء، ومن أصدقاء (سعد) باشا المقربين، ومن ثم ضم للوفد (عبد اللطيف المكباتي) و(محمد علوبة) بك.

في نوفمبر **1918** طلب (سعد زغلول) مقابلة المندوب السامي البريطاني، حددت المقابلة في **13** نوفمبر وذهب (سعد) إلى المندوب وبصحبته (عبد العزيز فهمي) و(علي شعراوي) في دار الحماية، ودار بينهم حوار بشكل ودي، مفاده أن العلاقة بين (مصر) و(إنجلترا) يجب أن تكون علاقة صداقة الحر بالحر، لا الحر بالعبد؛ فلذلك نحن نطالب باستقلال (مصر) وأن تمثل في مؤتمر (باريس) كباقي الدول التي سوف يتحدد مصيرها في المؤتمر، رد عليهم المندوب السامي أن اللقاء سيؤخذ بشكل ودي غير رسمي حتى يعلم من حكومته أفكارها تجاه (مصر).. وانتهي اللقاء، وسجّل المندوب البريطاني في تقريره لحكومته في **13** نوفمبر **1918**: زار (سعد زغلول) باشا ومعه اثنان

من زعماء الصف الأول في الحركة الوطنية المعتمدَ الساميَ البريطانيَ، وأعربوا له عن رغبتهم في السفر إلى (لندن) لعرض قضية الاستقلال التام لمصر.

في مساء نفس اليوم قابل (حسين رشدي) باشا رئيسُ الوزراءِ (سعد زغلول)، وذكر (حسين رشدي) باشا لسعد أنه قابل المندوب السامي البريطاني في دار الحماية، وسأله عن أثر الحادثة في نفسه، فأجابه بأنها كانت ودية غير رسمية



حسين رشدي

ثم تساءل المندوب في استنكار: "بأي حق وبأي صفة يتحدث ثلاثة من المصريين باسم الشعب المصري كله؟.. قد يكونوا من كبار المصريين، ولكن هذا لا يعطيهم أية صفة للتحدث باسم الأمة وطلبات الأمة"، فأجابه (رشدي) بأنهم أعضاءً في الجمعية التشريعية، وأن (سعد) باشا هو الوكيل المنتخب لتلك الجمعية، فأجابه سير (ونجت) المندوب السامي: "هذه ليست صفة تعطيهم حق التمثيل والتحدث باسم مصر".

كانت هذه الملاحظة العابرة –من جانب المندوب السامي– وهذا الحرص –من جانب (حسين رشدي باشا)– على نقلها إلى الزعيم؛ السبب المباشر في اجتماع الوفد واتخاذ قرارًا حاسمًا.

كان الوفد ما يزال في مرحلته الثانية من التكوين، وعدد أعضاءه سبعة، وفي صبيحة اليوم الثاني من المقابلة؛ قرروا ضرورة عمل شيء يثبت لهذا الوفد صفة التحدث عن الأمة، ورأوا أن الوسيلة العملية الوحيدة لتحقيق ذلك، هي وضع صيغة توكيل يوقعها أعضاء الهيئات النيابية ومجالس المديريات والبلديات، وأكبر عدد ممكن من ذوي الرأي من المتعلمين والأعيان وسائر طبقات الشعب، ورأوا بحق أن هذا العمل هو بمثابة استفتاء عام للأمة المصرية عن وكالة الوفد عنها، وَوُضعت صيغة التوكيل:

"نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضرات:

سعد زغلول باشا - علي شعراوي باشا - عبد العزيز فهمي باشا - محمد علوبه بك - عبد اللطيف المكباتي بك - محمد محمود باشا - أحمد لطفي السيد بك، ولهم أن يضموا إليهم من يختارون في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا للسعي سبيلاً في استقلال (مصر) استقلالاً تامًا."

طُبعت هذه الصيغة ليلاً بكميات كبيرة، وسافر بها عشرات المئات من الشباب إلى جميع أنحاء البلاد، فأقبل الناس في حماسة بالغة على التوقيع عليها، وعاد بعضهم ومعه مئات الألوف من التوقيعات إلى منزل (سعد زغلول) - وبعد أسبوع واحد من هذه الحملة، التي نُفذت على أوسع نطاق وبأسرع ما يمكن بتأييد شفوي من (حسين رشدي) باشا إلى المديرين، أدرك المستشار البريطاني لوزارة الداخلية

مستر (هيتر) ما تنطوي عليه هذه الحملة من أخطار على السياسة البريطانية المتمثلة في الحماية، ورآها محاولة ناجحة لتعبئة المشاعر الوطنية المصرية، وإلهاب الوعي العام بالسخط الشديد على الحماية، والعمل على إزالتها وتكتيل الشعب حول زعامة (الوفد)، فأصدر الأوامر المشددة بمنع تداول هذه التوكيلات ومصادرة ما جمع منها واعتقال القائمين عليها.

وكان الوفد يرى أن السفر إلى (لندن) لمفاوضة (بريطانيا) في عقر دارها لأنها صاحبة الحماية، ولكن السلطات البريطانية ظلت تماطل في الموافقة على سفر الوفد إلى (لندن)، وحاول الوفد لأكثر من مرة أخذ الموافقة على السفر، لكن دون جدوى، وقدم (حسين رشدي) باشا استقالته لرفض السلطات البريطانية السماح له بالسفر إلى (لندن) بصفته رئيسًا للحكومة، بعد مماطلة الإنجليز لمطالب الوفد؛ قرر (سعد زغلول) في اجتماع بأعضاء الوفد، العدول عن فكرة السفر إلى (لندن) والتحلل من فكرة الاقتصار على مفاوضة الإنجليز وحدهم، ونقل القضية إلى الميدان الدولي، والاتصال المباشر بممثلي الدول الأجنبية، والسعي لسفر الوفد إلى (باريس) لحضور مؤتمر الصلح في (فرساى)، ووافق أعضاء الوفد على الاقتراح.

وبعد نجاح حملة التوكيلات؛ رأى الوفد أن يضم إليه اثنين معروفين بميولهم الظاهرة للحزب الوطني، وهما (مصطفي النحاس) بك القاضي بالمحاكم الأهلية، الذي كان له دور بارز في جمع

التوقيعات، و(حافظ عفيفي) الذي أصبح رئيس الديوان الملكي، كما ضم الوفد إليه أعضاء آخرين لاستكمال بعض العناصر التي تمثل طبقات الأمة، وهم (حمد الباسل) باشا، (إسماعيل صدقي) باشا، (محمود أبو النصر) باشا، (سينوت حنا) بك، (جورج خياط) بك، (واصف غالي) بك، (حسين واصف) باشا، (عبد الخالق مدكور) باشا، وأصبح الوفد يضم كافة طبقات وطوائف الشعب المصري حتى يُصبح ممثلاً للأمة بالفعل.. وأنشأ الوفد لجنة مركزية في القاهرة برئاسة (محمود سليمان) باشا وكان سكرتيرها العام (عبد الرحمن فهمي) بك، ومهمتها جمع التبرعات وإحاطة الوفد علمًا بما يَهُم من شئون البلاد، وتوجيه وتنسيق الجهود الوطنية لخدمة قضية الاستقلال، وكانت هذه الحركة البداية الفعلية لتأسيس (حزب الوفد)، الذي أُطلق عليه فيما بعد (حزب الأغلبية)، اقترب مؤتمر الصلح من انعقاده فأرسل الوفد برقيات عديدة إلى الدول المشاركة في الصلح وعددها ثلاثون دولة، وهي التي تحالفت ضد (ألمانيا) و(النمسا) و(تركيا)، كما أرسل برقية للرئيس الأمريكي (ويلسون) صاحب فكرة تقرير الشعوب لمصيرها، حتى يتضح له قضية (مصر) وأحقية مشاركتها في المؤتمر كباقي الدول العربية التي سمح لها بسفر وفود ممثلة لبلادها لشرح قضيتهم في المؤتمر.

لم ييأس (سعد) وصحبه من تعنت السلطة البريطانية ومنعهم من السفر إلى المؤتمر؛ فظل (سعد زغلول) في اجتماعات متصلة يوميًا،

وظهر (الوفد) في حركة دائبة ونشاط متزايد، وتجلي ذلك النشاط في برقيات الاحتجاج على النظام الإنجليزي، وفي الاجتماعات التي يعقدها في داره أو في أماكن أخري، وفي الخطب التي يلقيها وفي البيانات التي يصدرها إلى ممثلي الدول الأجنبية في (مصر)، وازدادت شعبية (سعد) وأتسع نطاق الحركة الوطنية، وأصبح (سعد وحركته رمزًا جديدًا من رموز الحركة الوطنية.

ضاق الإنجليز ذرعًا بأمره واشتدت نقمتهم عليه، فماذا يفعلون مع هذا الرجل الجريء المستميت الذي لا يهاب ولا يهمد؟.

وفي 12 يناير 1919 أرسل (سعد) باشا برقيتين، الأولي إلى المسيو (كليمنصو) رئيس مؤتمر الصلح والثانية إلى (لويد جورج) رئيس الوزارة البريطانية، وكان نص البرقية:

(إن الحالة في مصر لا تطاق، وإن الشعب المصري بأسره من أكبر وزير إلى أصغر فلاح؛ محبوسون داخل بلادهم لا يسمح لأحد بالخروج من هذا الحصار الشديد).

وفي خطبة حاسمة من خطب (سعد زغلول) استنكر فيها الحماية والحكم عليها بالبطلان وتناول الاحتلال بالسخط عليه والبطلان أيضًا.

أثارت هذه الخطبة المصريين ونفخت فيهم روحًا جديدة زادت وطنيتهم اشتعالاً ونزلت على الإنجليز كالصواعق مما جعل الحكومة

البريطانية باستدعاء (سير ديجالند ونجت) المندوب السامي لاستطلاع رأيه في الأحداث الجارية في مصر. واستمر سعد باشا زغلول في تحركاته وبرقياته واجتماعاته وخطبه وأصبح الوفد يمضي في خطى ثابتة في صدارة الحركة الوطنية.

في السادس من مارس عام **1919** استدعي ميجر (جنرال واطسون) قائد القوات العسكرية البريطانية في مصر، (سعد زغلول) وأعضاء الوفد للحضور إلى مركز القيادة ووجه لهم إنذار شديد اللهجة مخاطبًا لهم بقوله:

"علمت أنكم تضعون مسألة وجود الحماية موضع المناقشة، وأنكم تضعون العقبات في سير الحكومة المصرية تحت الحماية بالسعي في منع تشكيل وزارة جديدة، وحيث أن البلاد لا تزال تحت الأحكام العرفية لذلك يلزمني أن أنذركم أن أي عمل منكم يرمي إلى عرقلة سير الإدارة، يجعلكم عرضة للمعاملة الشديدة بموجب الأحكام العرفية" ،

وعندما حاول (سعد) الرد، قاطعه الميجر البريطاني وأنهي المقابلة وسلم لهم نسخة من الإنذار.

رفض (الوفد) الإنذار وأرسل برقية إلى رئيس الوزراء البريطاني تعبر عن استنكارهم لصيغة الإنذار ومطالبين بالسفر لحل هذه الأزمة.

في الثامن من مارس من نفس العام حضرت قوة عسكرية بريطانية إلى منزل (سعد زغلول)، ودخل قائد القوة إلى (سعد) وأبلغه أمرًا باعتقاله فورًا، وتم نقله إلى ثكنة عسكرية بريطانية، ولحق به (حمد الباسل) و(محمد محمود) و(إسماعيل صدقي) وصدر أمرًا بنفيهم فورًا خارج البلاد.

* * *

اشتعال الثورة

كان اعتقال الزعيم وصحبة الشرارة المنتظرة لقيام ثورة عارمة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البلاد، فلم تنفجر الثورة انفجار القنبلة ذات الدوي القوي القصير والمؤقت، ولكن الثورة كانت أشبه بحريق هائل شامل، بدأته شرارةٌ زحفت وزحفت حتى وصلت إلى هشيمٍ مملوء بالديناميت وشتي أنواع المتفجرات، ففي اليوم التالي من اعتقال (سعد) ورفاقه، قام طلاب المدارس العليا بالخروج بمظاهرات سلمية في القاهرة، فقام الجنود البريطانيون بإطلاق الرصاص عليهم لتفريقهم؛ فقتلوا وجرحوا العشرات مما جعل المظاهرات تستمر على نطاق أوسع وأشمل، فانضم إلى المظاهرات جميع فئات الشعب من العمال والمحامين ورجال القضاء والأطباء والمعلمين فلم يخلُ شارع أو ميدان في القاهرة والإسكندرية من مظاهرات قابلها الجنود البريطانيون بقسوة بالغة، إذ أمطروا المتظاهرين كل يوم وابلاً من

الرصاص، فسقط عددٌ كبيرٌ من القتلى والجرحى.

هذا العنف الدموي الشديد من جانب السلطات البريطانية لم يكن القصد منه إلا سحق الحركة الوطنية أو إرهاب المصريين، وقتل الروح الوطنية بأسرع ما يمكن والقضاء على الثورة، ولكن اتسع نطاق الثورة في عموم القطر المصري، وازدادت أطياف الشعب للانضمام للحركة الشعبية التي اشتعلت بسرعة هائلة وزاد اشتراك الهيئات والأفراد على اختلاف مراكزهم وأعمارهم، حتى السيدات قمن بمظاهرات ضخمة وهن مازلن تحت الحجاب، وقد حاصرهن الجنود في بعض الشوارع وحول بيت الأمة (منزل سعد باشا زغلول)، وتركوهن محاصرات ساعات طوال، وكان من مظاهر الجلال لهذا النضال العظيم أن المتظاهرين ازدادوا إقبالا واستماتًا وتحديًا واستخفافًا بالموت.

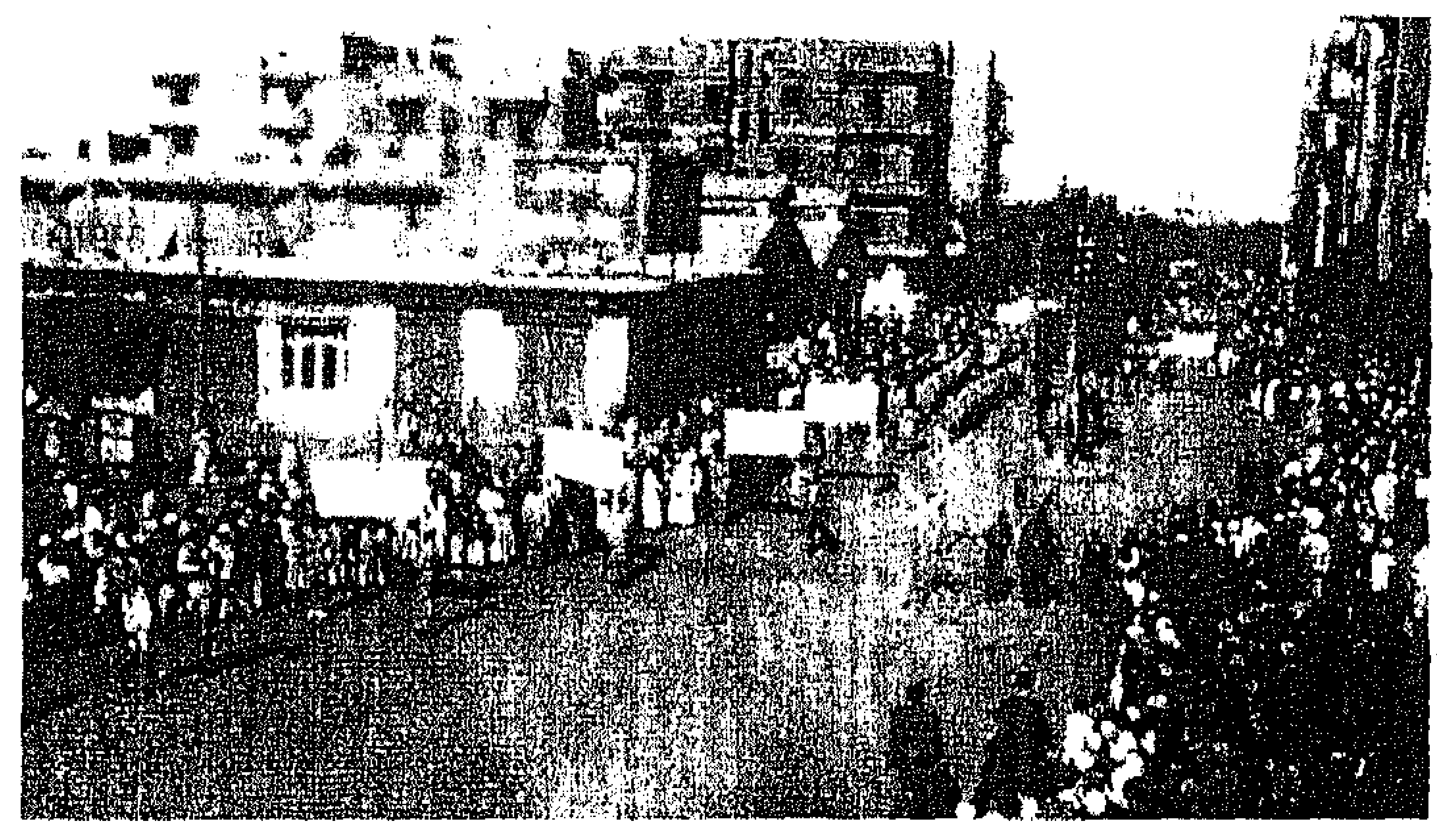


23 يوليو

كانت المرحلة الثانية من الثورة الإضراب العام فبعد أن بدأت المرحلة الأولي بالمظاهرات بيوم واحد، بدأت حركة الإضراب العام فاضرب الطلاب عن الدراسة، كما تضامن طلاب الأزهر والمعاهد الدينية في الحركة، وأغلقت المتاجر واضرب عمال الترام وسيارات التاكسي وعربات الأجرة، فتعطلت جميع المواصلات داخل البلاد ثم أضرب المحامون والقضاة فتعطلت المحاكم، كذلك عمال السكك الحديدية وانقطع الاتصال بين المدن والمديريات (المحافظات وكانت تسمي بالمديرية في ذلك الوقت) يومين كاملين حتى استطاع الإنجليز أن يعيدوا القطارات إلى عملها بواسطة جنودهم وشارك الموظفون في الإضراب؛ فتوقفت المصالح وشئون الدولة، مما دفع القائد العام للقوات البريطانية إلى توجيه إنذار شديد اللهجة إليهم، وطالبهم فيه بضرورة الاستمرار في أعمالهم وإلا عرضوا أنفسهم لأشد العقاب بمقتضي الأحكام العرفية، وقد شمل الإضراب ربوع البلاد كلها حتى وقع الشلل في بعض الأجهزة والمصالح والإدارات، ولم تكن الثورة مجرد مظاهرات واضطرابات؛ فكان هذان العاملان المراحل الأولي للثورة، وكان لابد من الانتقال إلى مرحلة أخرى لتزداد الثورة قوة، فبدأت حرب العصابات ونشاط الفدائيين وأعمال القتل والاختطاف للجنود الإنجليز والتخريب على أوسع نطاق، لكل من شأنه تقويض الإنجليز في جميع أنحاء البلاد؛ فانتشر في جميع المدن والقرى –في الوجهين البحري والقبلي– كثيرون من الطلبة ورجال الثورة

الفدائيون، فأصبحت في حالة غليان للعمل الجدي واستعداد للقيام بعمليات التحطيم والتخريب والقتل وإشعال الحرائق في محطات السكك الحديدية.

أمر القائد العام الإنجليزي توسيع دائرة العنف في قمع الثورة للسيطرة على البلاد مرة أخرى، وأصدر ثلاثة إنذارات فاشلة لتخويف الشعب من استمرارهم في ثورتهم، فلم ينجح في فرض النظام في البلاد، ولم تنجح الإنذارات في التخفيف من حدة الثورة، بل كانت تزداد يومًا بعد يوم بأيدي الثائرين المصريين الذين بدءوا الثورة متظاهرين سلميين، فأصبحوا عمالقة أقوياء يضربون في الصميم ضربات قاتلة لعدوهم الطاغي، الذي جعل القائد العام البريطاني أن يطلق أيدي جنوده ويستخدم كل شيء ليقمع الثورة؛ فأوسع من عنفه وطغيانه، فجمع بعض الأعيان والوزراء وأنذرهم في



غلظة وعنف بأن يبذلوا كل ما في وسعهم لتهدئة الأهالي ومنعهم من إحداث القلاقل، والقيام بإعمال التخريب حتى لا يضطر إلى الالتجاء إلى حرق القرى والبلاد.

– أُستخدمتْ الطائرات الحربية لحماية خطوط السكك الحديدية.

– استخدمت كذلك كتائب من الجنود المسلحين بالمدافع الرشاشة تجوب البلاد في العربات المصفحة، يطلقون الرصاص على كل جماعة يشاهدونها، كما فُـرِضَ حظر التجول على الناس ليلاً.

لم تجدِ الإجراءات التي فرضها القائد العام نفعًا في القضاء على الحركة الوطنية، فأستخدم سياسة الأرض المحروقة.. قامت قوات الاحتلال بحرق العديد من القرى وقتل الأهالي وترويعهم، وحدث صدام بين الجنود والأهالي أثناء حرق أراضيهم وبيوتهم، وقُـتِلَ منهم العشرات، وزاد على ذلك قيام الطائرات بإلقاء القنابل على المتظاهرين، كما حدث في (أسيوط)، وحرق القرى المجاورة لها، وحُرِقتْ قري (ديروط) و(دير مواس) وكذلك حُرِقتْ قرى في الوجه البحري مركز (إيتاي البارود) و(العياط) و(إمبابة) و(نزلة الشوبك)، وارتكب الإنجليز فظائع أثناء مواجهتهم للحركة الشعبية.

رغم هذه الإجراءات القاسية استمرت الثورة واستمرت الإضطرابات التي جعلت البريطانيين في حيرة من أمر هذه الثورة، التي اشترك فيها الشعب المصري بجميع أفراده وهيئاته، من عمال

ومتعلمين ومثقفين وفلاحين، واكتوى بنارها واشترك فيها بروح فدائية عظيمة ولم يتولى قيادة الثورة شخص واحد معروف، بل كانت هناك قيادات شعبية متفرقة في كل مدينة وكل حي وكل قرية، يجاهدون ويكافحون.. فقد كانت بحق ثورة شعبية.

في 21 مارس عينت (بريطانيا) الجنرال (اللنبي) مندوبًا ساميًا فوق العادة، وُكلَ إليه أن يقوم بالسلطة العليا في جميع المسائل العسكرية والمدنية، وأن يتخذ جميع الوسائل العليا التي يرى ضرورتها حتى يعيد القانون والنظام في هذه البلاد، وحتى يدير الشئون إذا لزم الأمر.

اجتمع الجنرال برئيس الوزراء والوزراء السابقين وباقي أعضاء الوفد، وتشاور معهم في الحالة التي تمر بها البلاد، وشرحوا له أسباب الثورة والأحداث التي عمت البلاد بسبب اعتقال (سعد زغلول) ورفاقه ونفيهم إلى خارج البلاد، وقسوة الإنجليز في تعاملهم مع المتظاهرين الذين بدءوا بمظاهرات سليمة.

الإفراج عن الزعيم:

جعلت ثورة 1919 من (سعد زغلول) زعيمًا ورمزًا للحركة الوطنية في مصر، وعقد عليه الآمال ليتحقق حلم الاستقلال في قيادته للنضال والجهاد، الذي لم يكد أن يغمد حتى يشتعل من جديد في صدور المصريين بظهور زعيم يحمل هموم الأمة على عاتقه، عاقدًا

العزم على رفعة وطنه واضعًا مصير بلاده نصب عينيه، ناظرًا لاستقلال مصر في نهاية طريقه، حالمًا بأن يحكم (مصر) أهلها لا غيرهم.

رأت الحكومة البريطانية بعد تعاقب الحوادث أن سياسة قمع الثورة بالقوة والبطش قد تفضي إلى إخمادها، إلا أنها كانت وسيلة عكسية لا تؤدي إلى الغرض الذي ترمي إليه، لأنها تؤجج نار العداوة والبغضاء في النفوس وتزيد حفيظة الشعب عليها، فرأت وقد أخذت الثورة بالشدة حينًا أن تنجح ولو مؤقتا لمهادنتها والتخفيف من حدتها، والتقرب ظاهرًا إلى الشعب، وإذا اعتقدت أن السبب المباشر للثورة هو اعتقال (سعد) ورفاقه، فقد صح عزمها على أن تقرر الإفراج والتصريح للوفد ولمن يشاء من المصريين بالسفر إلى (أوروبا)، وبذلك تجتذب قلوب الشعب وتكسر من حدة ثورته، وبهذا نصح الجنرال (اللنبي) الحكومة البريطانية بالإفراج عن (سعد) وصحبة، والسماح للوفد المصري بالسفر إلى أوروبا.

وقد ساعد على اختيار هذا الحل أن الحكومة البريطانية اتخذت عدتها في مؤتمر الصلح لكي يَرفض مطالب مصر، بل يَرفض أيضًا سماع هذه المطالب، واستوثقت من أنه سيقر الحماية البريطانية في معاهدة الصلح، فلم ترَ في الإفراج عن (سعد) وسفرهم ضررًا يلحق أهدافها السياسية.

وفي السابع من إبريل من نفس عام الثورة أعلن الجنرال (اللنبي) قراره بالإفراج عن (سعد) وصحبه وإتاحة السفر للمصريين، وسمح لهم بالسفر إلى مؤتمر الصلح، وأصدر بذلك منشورًا.

تبدلت الروح العامة بعد إعلان المنشور، فشهدت (مصر) من مظاهر الفرح والسرور ما لم يسبق له نظير في تاريخها الحديث، فقد عدت الأمة بحق أن الإفراج عن (سعد) ورفاقه هو نصر سياسي نالته في ميدان الكفاح القومي، لأن السلطة التي اعتقلت (سعد) هي ذات السلطة التي اضطرت للإفراج عنه تسكينًا للثورة أو مهادنة لها، فهو على أي اعتبار مكسب لها.. وبالرغم من قرار الإفراج وتأليف (حسين رشدي) باشا الوزارة من جديد، إلا أن الثورة أستمرت في طريقها ولم تنقطع حوادثها ومظاهرها ولم تجنح البلاد للهدوء والسكينة.

في 11 أبريل سافر أعضاء الوفد المصري الموجود في (مصر) إلى (مالطة)، والتقوا مع (سعد زغلول) ومن معه من أعضاء الوفد، وسافروا جميعًا إلى باريس.. وكان سفر الوفد موضعًا لحفاوة الشعب، ولَقي الوفد –تأييدَ الشعب له ماديًا وأدبيًا– ما لم تلقه أية هيئة سياسية أخري، فقد أيده بالتوكيلات التي أكسبته صفة التحدث عن الأمة، وأمده بالمال الذي ساعده على متابعة عمله في (مصر) والخارج، وبلغ مجموع التبرعات التي جمعت له عن طريق الاكتتاب أكثر من مائتي ألف جنيه.

23 يوليو

كان الإفراج عن (سعد) والسماح للوفد المصري بالسفر إلى (باريس)، أولى نتاج الثورة التي أتت بثمار أخرى كانت أملاً للشعب ورجاله، وبعد سفر الوفد كان للسلطة البريطانية سلاح آخر للقضاء على الحركة الوطنية بقيام المحاكم العسكرية لمن اعتقلوا في المظاهرات، ومحاكمتهم محاكمة عسكرية اعتقادًا منها بأن تقضي على ما بقي من الثورة.. ولكن خاب ظنها.

اعتراف (ويلسون) بالحماية:

ما أن وصل الوفد إلى (باريس) حتى صُدِمَ باعتراف (ويلسون) رئيس (أمريكا) بالحماية البريطانية على (مصر)، في حين كانت الآمال معقودة على مبادئ (ويلسون) آمالاً كبيرة، وجاء اعترافه بالحماية مخيبًا لهذه الآمال، وسعدت الدوائر البريطانية بهذا الاعتراف وبادرت إلى إذاعته في 22 ابريل سنة 1919م، وتلقت الحركة الوطنية صدمة جديدة حيث جاء النصوص الخاصة بمصر مؤيدة ومعترفة للحماية التي فرضتها بريطانيا، وصارت جزء من معاهدة (فرساي) التي وقعت في 28 يونيه 1919م.

كان لاعتراف مؤتمر (فرساي) بالحماية أثر أليم في نفوس الشعب، ورأوا فيه إهدارًا لحقوقهم على أن هذا الإخفاق لم يخمد نيران الثورة، ولم يزلزل عقيدة الأمة؛ بل استمرت في كفاحها في سبيل الاستقلال.

وازداد الإنجليز إمعانًا في اضطهاد الحركة الوطنية، فاتبعت السلطة العسكرية سياسة الانتقام المفرط في أنحاء البلاد، وأسرفت في إذلال المصريين وأعطتْ الجنود فرصة لارتكاب الكثير من جرائم النهب والاعتداء.

في 22 سبتمبر 1919 قامت الحكومة البريطانية بتشكيل لجنة برئاسة (فيكونت ملنر) وزير المستعمرات وكان مستشارًا ماليًا للحكومة المصرية في السنوات الأولى من الاحتلال ومكونة ثمانية أعضاء أخريين سميت بلجنة (ملنر) للتحقيق ومعرفة أسباب الاضطرابات التي حدثت أخيرًا في القطر المصري، وتقديم تقرير عن الحالة الحاضرة في تلك البلاد وعن شكل القانون النظامي الذي سيكون دستورًا للبلاد وتوسيع نطاق الحكم الذاتي وحماية المصالح الأجنبية.

وصلت اللجنة إلى (مصر) في ديسمبر 1919م ولم يكد يذاع نبأ وصولها للقاهرة حتى عم الغضب نفوس الشعب وتوافرت الأدلة لدي بعض أعضاء اللجنة على تصميم المصريين على مقاطعتهم مقاطعة تامة، وكتبت الصحف معلنة أن كل مصري تكون له علاقة بأعضائها يرتكب خيانة للوطن، وأن الرئيس الجليل (سعد زغلول) المقيم في (باريس) هو الوكيل الذي أنابه الشعب المصري عنه فالأولى باللجنة مفاوضته في الأمر، وبما أن كافة فئات الشعب المصري انضمت للثورة لم يكن للجيش دور إيجابي في أحداثها، كما كان في

ثورة عرابي، إذ أن ضباطه لم يتحركوا حركة ثورية، ليس لأنهم قد تنكروا لوطنيتهم، فقد قام بعض الضباط بمواقف تدل على ارتباطهم بالحركة الوطنية؛ حيث ذهب حشد من ضباط الجيش بملابسهم الرسمية إلى بيت الأمة عقب نفي (سعد) مؤيدين لموقفه وحاملين صورته، وكان من بينهم الملازم (محمد نجيب) الذي انضم إلى جمعية سرية للضباط المصريين في (السودان)، وكانت الجمعية قد كلفته عند زيارة لجنة (ملنر) بالوقوف أمام نادي الضباط بالخرطوم ومعه صورة من البرقية التي قرر الضباط إرسالها للاحتجاج على لجنة (ملنر)، مفادها انه لا يجوز التفاوض إلا مع الوفد المصري برئاسة (سعد زغلول)، ويوقع الضباط على البرقية التي شملت توقيعات جمع كبير من الضباط، واعتقل (نجيب) مع مجموعة من ضباط الحركة وأغلق ناديهم في (الخرطوم) واحتُجِزَ الضباط في المعتقل حتى أُفرج عنهم بعد أسبوع واحد تحت ضغط زملائهم، وأعيد فتح النادي من جديد، وكانت هذه الخطوة هي الأولي للجيش نحو انضمامه للحركة الوطنية الذي انعزل عنها منذ قيام حركة عرابي واحتلال مصر.

قد يعتقد العامة أن الأسرة الحاكمة في (مصر) كانت منعزلة عن الأحداث في ذلك الوقت الذي خرج فيه عصبة من الأمراء وأصدر بيانًا تضامنيًا مع الحركة في يناير 1920م، أعلن الأمراء (كمال الدين حسين) — (عمر طوسون) — (محمد علي إبراهيم) — (إسماعيل داود) و (منصور داود) في بيان إلى الأمة، أعربوا فيه عن تضامنهم

معها في أمانيها وأمالها وأعلنوا أنهم يطالبون باستقلال (مصر) استقلالاً تامًا بلا قيد ولا شرط، وأرسلوا مذكرة إلى اللورد (ملنر) يؤكدون فيها أن جميع طبقات الأمة المصرية أعلنت عن شعورها نحو وطنها وعبرت عن أمانيها بالاستقلال التام لبلادها.

وقد كان لرسالة الأمراء إلى الأمة ومذكرتهم إلى اللورد (ملنر) أبلغ الأثر في إذكاء روح الحماسة في النفوس، إذا جاءت دليلاً ملموسًا عن تضامن أمراء البيت المالك مع الشعب.

استمرار الثورة:

بينما كانت الثورة سائرة في دربها كان الوفد في (باريس) يبحث عن منفذ في مؤتمر الصلح لعرض قضية بلاده لكن دون جدوى، فقد أوصدت أمامه الأبواب، وبالرغم من إرسال رسائل إلى رؤساء الوفود ورئيس المؤتمر للسماح له بإبداء مطالب مصر؛ صمّ المؤتمرون آذانهم عن سماع هذه المطالب، إلى أن دب اليأس في نفوس أعضاء الوفد وفكروا في مصارحة الأمة بإخفاق الوفد في مهمته، لولا ما كان يصلهم بـ(باريس) من أنباء ثبات الشعب في كفاحه واحتماله التضحيات في سبيل استقلاله.. فلما جاء (ملنر) إلى (مصر) ولقي مقاطعة الأمة للجنته؛ عاد إلى (لندن) ولديه الرغبة في مفاوضة الوفد المصري، وفور عودته إلى (لندن) أرسل إلى (باريس) مندوبًا عنه ليدعو الوفد بالحضور إلى (لندن) للتفاوض.. ولبى الوفد الدعوة.

وفي 5 يونيو 1920م وصل الوفد إلى (لندن) وجرت المفاوضات بين الطرفين وقدم (ملنر) مشروع رفضه الوفد، كما رفض (ملنر) مشروع مقدم من الوفد استمرت المفاوضات أشهرًا طويلة بين المداولات والتعديلات والمشاورات وعودة المندوبين عن الوفد لاستشارة الأمة في بعض النقاط، وسفرهم مرة أخرى إلى (لندن) حتى قطع الوفد المفاوضات في 9 نوفمبر 1920م بعد أن رأى أن كل المشروعات المقدمة من الحكومة البريطانية لن ترفع الحماية وتعلن استقلال (مصر)، وفي اليوم التالي من قطع المفاوضات عاد الوفد مرة أخرى إلى (باريس) موجهًا نداءً إلى الأمة بأن لا تقطع سبيلها في الاستقلال. وقدم (ملنر) استقالته من وزارة المستعمرات بعد فشل مهمته، وخلفه و(نستون تشرشل) الذي صرح بأن (مصر) جزء من الإمبراطورية، الأمر الذي أثار عاصفة من الاحتجاج في مصر.

نتائج الثورة :

حققت ثورة 1919م بعض النجاحات التي كانت ثمرة لاستمرار الحركة الوطنية، رَضِيَ عنها الشعب بعض الشيء، فبعد تعنت السلطات البريطانية في الاستجابة لمطالب الأمة وتقرير مصيرها، عملت الثورة ومن قبلها نضال زعمائها الراحلين على أن تلتفت (بريطانيا) للقضية المصرية والاستقلال الذي كان المطلب الأساسي للشعب.

فبعد قيام الثورة وزيارة لجنة ملنر والمباحثات التي عقدت في (لندن) بين الوفد و(ملنر) وفشل (ملنر) في مهمته، وبعد دراسة الوزارة البريطانية (وزارة لويد جورج) تقرير اللورد (اللنبي)؛ قررت الحكومة البريطانية اعتبار الحماية التي أعلنتها علاقة غير مرضية ودعوة (مصر) إلى الدخول في مفاوضات رسمية للوصول إذا أمكن تبديل الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخاصة لـ(بريطانيا) العظمي بلغ (اللنبي) السلطان بهذا القرار في فبراير 1921م.



كُلف (عدلي يكن) باشا بتشكيل وزارة، وأرسل (عدلي) برقية إلى (سعد) يبلغه بتشكيل وزارة، وأيد (سعد) هذه الوزارة وأطلق عليها وزارة الثقة والدخول مع (بريطانيا) في مفاوضات رسمية. عاد (سعد) باشا والوفد إلى (مصر) في إبريل عام 1921م، وبدأت المباحثات بينه وبين (عدلي) لتشكيل وفد المفاوضات، قَـبِلَ (سعد) المشاركة في الوفد ولكن بشرط أن يكون الغاية من المفاوضات الوصول إلى إلغاء الحماية، وكذلك يتم إلغاء الأحكام العرفية ورفع الرقابة عن الصحف قبل بدء المفاوضات، وأن يكون الوفد تحت رئاسة الوفد، قَـبِلَ (عدلي) باشا الشروط الأولي ولكنه لم يقبل شرط رئاسة الوفد، بحيث من غير المنطقي أن يرأس الوفد أحدٌ من خارج الوزارة،

وأن يكون رئيس الوزراء ضمن أعضاء وفد المفاوضات.

وافق أعضاء الوفد المصري على الاشتراك في وفد المفاوضات، ولكن (سعد) باشا أصر على رأيه مما دعي بعض الأعضاء الموافقين على رأي (عدلي) إلى الاستقالة وإعلان بيان، أوضحوا فيه أن (سعد) باشا لا يرضخ لقرار الأغلبية. سافر (عدلي) إلى (لندن) وتفاوض مع وزير الخارجية البريطاني اللورد (كيرزون) وقدمت (بريطانيا) مشروع معاهدة يإبقاء قوات الاحتلال في أي مكان بالبلاد، وإلى زمن غير محدد، وضم المشروع من الشروط ما يهدم معاني الاستقلال وينظم الحماية كوضع شئونها الخارجية تحت رقابة المندوب السامي البريطاني.

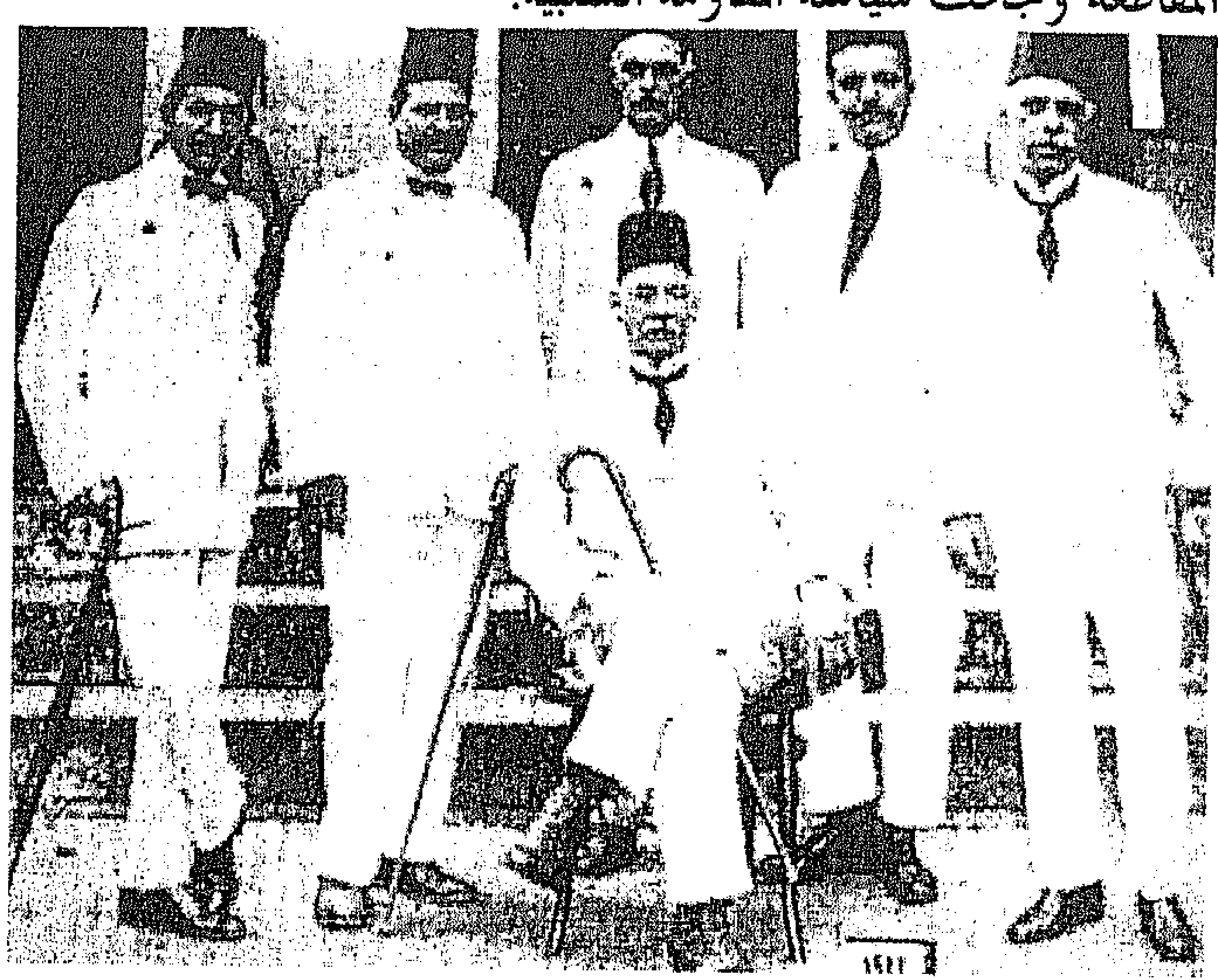
رفض (عدلي) باشا مشروع المعاهدة وقطع المفاوضات وعاد إلى (مصر) مقدمًا للسلطان استقالته لعدم رضائه على الشروط البريطانية.

ظل (سعد) في مهاجمة المشروع البريطاني والتمسك برفع الحماية والاستقلال مما دعي قوات الاحتلال إلى اعتقاله مرة أخرى في ديسمبر 1921م ومعه بعض أعضاء الوفد ونفوا إلى جزيرة (سيشل).

بعد اعتقال رجال الوفد دعى أقطابُ الشعب إلى توحيد الصفوف لرأب الصدع الذي حدث في الحركة، ومقاومة الاحتلال بالطرق المناسبة، وعاد أعضاء الوفد المنقسمين إلى الحزب مرة أخرى

وأصدروا بيانًا إلى الشعب دعو فيه إلى المقاومة السلبية ومقاطعة كل ما هو أجنبي.

استجاب الشعب لبيان الوفد وتمت مقاطعة كل ما هو متصل بالاحتلال فقاطع الشعب البضائع الأجنبية، وكذلك البنوك والمؤسسات والمحلات الأجنبية وشاركت كل طوائف الشعب في المقاطعة ونجحت سياسة المقاومة السلبية.



عُرِضَ علي (عبد الخالق ثروت) باشا تشكيل الوزارة، ولكنه وضع شرطـًا لقبول الوزارة وأصر عليها: كعدم قبول مشروع (كيرزون) وتصريح الحكومة البريطانية بإلغاء الحماية والاعتراف

باستقلال (مصر)، كذلك إعادة وزارة الخارجية وإنشاء برلمان من هيئتين (مجلس نواب – مجلس شيوخ) تكون له السلطة العامة على أعمال الحكومة وتكون الحكومة مسئولة أمامه.

هاجم حزب (الوفد) هذه الشروط متعللاً بأنها أغفلت أهم المطالب المصرية وعلي رأسها الجلاء، وناشد المصريون التمسك بالمقاومة السلبية.

كان هذا البيان حسنًا في مجموعة، وكان تحولاً نحو المبادئ الوطنية ودعوة الأمة إلى الاستمساك بالجلاء الذي هو الرمز الصحيح للاستقلال بل هو جوهره وكيانه.

اقتنع اللورد (اللنبي) بأن شروط ثروت هي أقل ترضية للأمة المصرية، وفي ثورها على الحماية وعلي الاحتلال، مما جعله يتبادل الرأي مع حكومته في شأنها ورأى أن يذهب بنفسه إلى (لندن) لإقناع أقطابها لقبولها.. فسافر إلى (لندن) وقابل (لويد جورج) رئيس الحكومة البريطانية ووزير الخارجية (كيرزون)، وانتهت مباحثاهم إلى قبول شروط (ثروت) باشا وإعلان التصريح المعروف بتصريح 28 فبراير 1922م.

تصريح فبراير 1922م:

صدر تصريح فبراير تحت ضغط هذه الظروف وعاد (اللنبي) إلى

(مصر) يوم 28 فبراير يحمل هذا التصريح، الذي يتضمن إعلان الحكومة البريطانية إنهاء الحماية والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة، وإلغاء الأحكام العرفية مع احتفاظ (بريطانيا) بأربع مسائل إلى أن يتم بشأنها اتفاقات بين (مصر) و(إنجلترا)، وهي: تأمين مواصلات الإمبراطورية والدفاع عن (مصر) ضد إي اعتداء خارجي – حماية المصالح الأجنبية وحماية الأقليات – السودان.

قبل (ثروت) باشا الوزارة وأعيد منصب وزير الخارجية إلى الحكومة مرة أخرى بعد أن أُلغِيَ في ظل الحماية، وأعلن السلطان (أحمد فؤاد) في 15 مارس استقلال البلاد، واتخذ لقب صاحب الجلالة ملك (مصر والسودان)، ولكن الاستقلال الذي ظلت تحتفل به البلاد كان استقلالاً شكليًا.

ما أن بدأ (عبد الخالق ثروت) عمله في الوزارة حتى قام بإلغاء منصب مستشار وزارة الداخلية الإنجليزي كما أوقف حضور المستشار المالي الإنجليزي أيضا حضور جلسات الوزارة، بعد أن كان متمتعًا بهذا الحق طيلة فترة الحماية، وجرت العادة طيلة الحماية تعطيل المدارس والمصالح الحكومية في عيد جلوس ملك (بريطانيا) على العرش وعيد ميلاده، وألغيت هذه العادة.. وفي 30 إبريل 1922م ألّف ثروت باشا لجنة مكونة من ثلاثين عضوًا لوضع مشروع الدستور وقانون الانتخاب، وكانت اللجنة مكونة من

المفكرين وذوي الرأي ورجال القانون والعلماء ورجال الدين والسياسيين والأعيان.

رغم بداية (عبد الخالق ثروت) باشا الطيبة إلا أنها سلكت مسلكًا آخرًا باضطهاد المعارضة التي كان حزب (الوفد) يقودها، ولتعسف ومصادرة الحرية الحزبية وإغلاق صحف (الوفد) وإصدار تعليمات إلى الصحف الأخرى بعدم ذكر اسم (سعد زغلول) في مقالاتها وأنبائها.

استقال (ثروت) باشا، ولم يُصدر الدستور في عهده وتلكأت الوزارة اللاحقة في إعلان الدستور، وتشويه مشروعه وتدخل الإنجليز في رفع (السودان) من الدستور، حتى صدر الأمر الملكي في 19 إبريل 1923م بإعلان الدستور برغم معارضة الملك له؛ لأنه يحد من صلاحياته، ولكن تم التوقيع عليه تحت ضغط الأحداث الجارية في البلاد وتم تعديل اللقب الملكي فأصبح (ملك مصر).

قبل صدور الدستور أُفرِج عن (سعد زغلول) وأُفرِج عن المعتقلين السياسيين، كما أُفرج عن أعضاء الوفد المحكوم عليهم بأحكام عسكرية التي ألغيت فيما بعد.

عاد الزعيم من الخارج بعد رحلة علاج قضاها أثناء نفيه وجاءه قرارُ الإفراج أثناء علاجه في ديسمبر 1923م، عاد الزعيم فاحتفلت الأمة بمقدمه احتفالاً عظيمًا، أكدت هذه الاحتفالات

زعامة (سعد) للأمة وتعلقها به والتفافها حوله وجاءت برهانًا جديًا أنه أقوى شخصية في البلاد.

بداية الحياة الدستورية:

بعد إعلان الدستور نتج عنه قيام البرلمان 1924م وأجريت الانتخابات في البلاد وشارك (الوفد) فيها؛ فكانت الأغلبية الساحقة له، وأستحوذ على معظم مقاعد البرلمان بمجلسيه وأكدت النتائج أنه صاحب الأغلبية والممثل الحقيقي للأمة.

الملك: أحمد فؤاد



وبعد فوز الوفد في الانتخابات عرض الملك (فؤاد) بموجب الدستور على (سعد زغلول) تشكيل الوزارة بصفته زعيم الأغلبية في البرلمان، وشُكِّلتْ أول وزارة برلمانية دستورية، والتي كانت من نتاج ثورة 1919م ولكن لم يستمر (سعد) في الوزارة طويلاً، وخرج (الوفد) من الحكومة وانضم إلى صفوف المعارضة ومنذ هذه اللحظة أصبح بين (الوفد) و(العرش) صراعٌ دائم.

23 يوليو

وفاة الزعيم الجليل سعد باشا زغلول:

في 23 أغسطس 1927م توفي الزعيم (سعد زغلول)، وما أن أذيع نعي الزعيم؛ حتى ارتجت البلاد لوفاته.. وعم الحزن أرجاءها، ونعاه مجلس الوزراء في بيانه "مجلس الوزراء ينعي إلى الأمة المصرية مع الأسف الشديد والحزن العميق صاحب الدولة الرئيس الجليل وزعيم الأمة العظيم رئيس مجلس النواب (سعد زغلول)."

وشيعت جنازته عصر الأربعاء في موكب كبير احتشدت فيه جموع المشيعين واشترك الشعب بأسره في توديع (سعد) إلى مثواه الأخير، لينضم إلى قافلة الزعماء المناضلين قادة الحركة الوطنية، وليكمل رجال الحركة ما بدأه أسلافهم من الزعماء.. وبالرغم من الانتكاسات التي أصابت الحركة إلا أن الشعور الوطني كان يعيد إلى أذهان الشعب استقلال بلادهم.

انتكاسات الحركة الوطنية:

كان من المفترض بعد تصريح فبراير أن تستمر الحركة الوطنية في دربها بعد أن صحت على حياة سياسية جديدة من الدستور والبرلمان.. بيد أن رجال الحركة الوطنية بعد أن كانت بدايتهم ناجحة رأوا في الحكم غاية، وانقسمت الحركة الوطنية على نفسها وتألفت الأحزاب، وأصبح التنافس بينها شديد في الوصول إلى الحكم والارتقاء إلى المناصب العليا والميل إلى إرضاء القصر

والمندوب السامي البريطاني، الذي استمر في تدخله في الشئون الداخلية للبلاد.

بعد وفاة (سعد زغلول) انتخب أعضاء الوفد سكرتير الحزب (مصطفي باشا النحاس) خلفـاً له.. الذي شكل الوزارة بعد استقالة (ثروت باشا) في مارس 1928م، وشكلت وزارة ائتلافية مع الأحرار الدستوريين برئاسة الوفد، ولكنها لم تدم طويلاً بعد استقالة وزراء الأحرار الدستوريين بعد خلافهم مع النحاس، مما جعل الملك أن يقيل الوزارة وأسندت الوزارة إلى (محمد محمود) باشا الذي استصدر أمرًا ملكيًا بحل البرلمان وتعطيل العمل بالدستور، وكانت هذه البداية الأليمة لصراعات الأحزاب وغياب الغاية التي بدأت بجهادهم ضد الاحتلال وهو الجلاء.

بعد إقالة (النحاس) وحل البرلمان؛ تسلل إلى بيت (النحاس) باشا ضابطٌ بالحرس الملكي في ذي خادم سوداني يُدعي (محمد نجيب)، عرض عليه تدخل الجيش لإجبار الملك على احترام إرادة الأمة ورأي الشعب وإعادة البرلمان والدستور، لكن (النحاس) رفض ذلك بشدة وطلب أن يبتعد الجيش عن الحياة السياسية وترك الأمر للأحزاب.

دخل (محمد محمود) باشا رئيس الوزراء مفاوضات مع البريطانيين، ولكنها لم تصل إلى حل يرضى عنه الشعب، واستقالتْ

الوزارة وشكّل (عدلي يكن) الوزارة الذي استصدر أمرًا ملكيًا بإنفاذ أحكام الدستور والعمل بالمواد المعطلة وإجراء الانتخابات.


إسماعيل صدقي

أعيدت الحياة النيابية وأجريت الانتخابات واكتسح (الوفد) كعادته غالبية المقاعد، وشكل الوزارة مرة أخرى في يناير 1930م ولكن لم تلبث أن اصطدمت الحكومة بالقصر.. على أثر هذا استقالت الحكومة وأسندت الوزارة إلى (إسماعيل صدقي) خصم الدستور الألد والمستهتر بحقوق الشعب.

كان (صدقي) من رجال الحركة الوطنية ومن رجال (الوفد) في بداية الثورة، ولكن لم يستمر طويلاً مع (الوفد) وانشق عنه أثناء تواجده في (باريس) وكان من أنصار مهادنة القصر والمندوب السامي ولم يناصر أو يؤيد دستور 1923م حين أُعلِنَ في وقته.

شكل (صدقي) الوزارة وبدأ بالاستبداد والتنكيل بالمعارضين والمتظاهرين، وفي فترة حكمه بطش بمؤيدي (الوفد)، وأمر رجال البوليس والقلم السياسي باستعمال العنف مع الوفد أثناء رحلته في المحافظات والمدن لإحياء الحركة الوطنية من جديد، وقد تعرض (النحاس) باشا للضرب من قبل البوليس، حين استقبله أنصاره في

إحدى المحافظات، ومُنِعَ (الوفد) من إقامة المؤتمرات الشعبية، مما جعل أحد الشبان المتحمسين أن يقوم بمحاولة اغتيال (صدقي) في أغسطس 1930م، ولكن باءت المحاولة بالفشل.

في أكتوبر 1930م نجح (صدقي) في إقناع الملك أن يصدر قرارًا بإلغاء دستور 1923م، وحل مجلس النواب وإعلان دستور 1930م الذي سمي بدستور (صدقي) الذي ألّف حزب الشعب الذي لم يدم طويلاً.

استمر (صدقي) في قمع الحركة الوطنية واسترضاء الإنجليز وضاقت به الحركة الوطنية ذرعًا، وشكلت جبهة وطنية من الأحزاب والمستقلين لإعادة الدستور وتحت هذا الضغط الشعبي استقال (إسماعيل صدقي) عام 1933م.

عودة الدستور:

شهدت البلاد في نهاية 1935م حدثًا هامًا ألا وهو استئناف الحياة الدستورية وعودة دستور 1923م، الذي ظل معطلاً خمس سنوات فكانت هذه السنة نصرًا للحركة الوطنية التي قاومت استبداد صدقي بقوة.. ففي 12 ديسمبر 1935م استجاب الملك فؤاد إلى طلب الجبهة الوطنية وأصدر أمرًا ملكيًا بإعادة الدستور، وشرعتْ وزارة نسيم باشا في إعداد العُدّة لإجراء الانتخابات العامة، ولكنها استقالت قبل إجرائها، وَأُلّفتْ وزارة علي ماهر باشا

للأشراف على الانتخابات، وشُكِّلتْ لجنة مفاوضات ضمت جميع الأحزاب عدا الحزب الوطني، الذي كان متمسكًا بمبدأ "لا مفاوضة إلا بعد الجلاء"

عهد جديد:

في إبريل **1936** توفي الملك (أحمد فؤاد) وكانت وزارة علي ماهر تتولي شئون الدولة، ونودي بالملك (فاروق) ملكًا لمصر، وكان لا يزال في السابعة من عمره، وتولي مجلس الوزراء سلطات الملك الدستورية لحين إجراء انتخابات وتشكيل مجلس وصاية على العرش، وكانت البلاد في ظل الائتلاف والجبهة الوطنية، وعاد الدستور بفضلها وتحقيقًا لمطالبها، واستبشرت البلاد خيرًا في ملكيها الشاب، وفي مايو **1936**م جرت انتخابات دون تدخل من الحكومة كما فعلت حكومة صدقي، التي تدخلت في الانتخابات التي أجريت في عهدها تدخلا سافرًا لمنع حزب (الوفد) من الحصول على الأغلبية، ونجحت حكومة صدقي في مرادها ولم يستطع الوفد الفوز بالأغلبية، ولكن نجح هذه المرة في ظل نزاهة حكومة علي ماهر التي أدارت الانتخابات دون تدخل، وكعادة (الوفد) استطاع الحصول على غالبية المقاعد.



علي ماهر

اجتمع البرلمان وعُيّن مجلس وصاية على العرش، وقـدَّم (علـي ماهر) باشا استقالته للمجلس الذي عهد إلى (النحاس) باشا بتأليف الوزارة.

وقدم (النحاس) برنامج حكومته الذي طرأ في سياسـته تغـيرًا ملموسًا مع الإنجليز، حيث كان في برنامجه تحقيق الاستقلال للـبلاد بإبرام معاهدة مودة وتحالف مع الدولة البريطانية الـصديقة، ومـن العجب أن يصف النحاس الدولة الغاصبة بالصديقة، وأعجب مـن ذلك أن يعتبر إبرام معاهدة تحالف معها محققًا للاستقلال، في حين أن إبرام المعاهدة والتحالف جاء مهدرًا لهذا الاستقلال لا تحقيقًـا لـه، لكن سياسية (الوفد) الجديدة درجت على هذا المنطـق المعكـوس، وسارت على طريق أخر وكادت قيادة الحركة الوطنية أن ترتد على أعقابها وتنعزل عن الشعب الذي أيديها ووقف بجانبها، ونهض بها إلى أن حقق لها زعامة لم تتحقق لأحد من قبل، ولكن الجيل الثاني مـن رجال الحركة الوطنية كما أسلفنا سلك مسلكًا آخر غير الذي بدأه، وبدلاً من المطالبة بالاستقلال وقيادة الشعب، حرص القـادة علـى حكم البلاد والوصول إلى الرضا السامي الملكي والأنعـام علـيهم بالرتب والنياشين والتمتع والنشوة بالألقـاب صـاحب الدولـة والرئيس الجليل وصاحب المقام الرفيع.... الخ.

معاهدة 1936:

23 يوليو

بعد أن تولى الرئيس الجليل (مصطفي النحاس) -كما كان يطلق عليه- الوزارة، شرع في إكمال ما بدأته هيئة المفاوضات المصرية - في أواخر عهد فؤاد- بينها وبين السير (مايلز لامسون) المندوب السامي البريطاني.


مصطفى النحاس

بدأ ((النحاس) باشا) في المفاوضات في القاهرة يوم 2 مارس 1936، ثم استمرت في الإسكندرية منذ أواخر يوليو، وانتهت بوضع مشروع المعاهدة التي وقِّعتْ في لندن بالأحرف الأولي بقاعة (لوكارنو) التاريخية بوزارة الخارجية يوم 26 أغسطس 1936.

أمّنتْ المعاهدة نوعًا من التحالف المشترك، واعترفت المعاهدة بسيادة (مصر) على أراضيها وحرية التصرف في شئونها الداخلية والخارجية، إلا أنها نصت على ضرورة التزام (مصر) بعدم انتهاج سياسية خارجية تتناقض مع التحالف، وارتفاع مستوى السفراء بين البلدين، بوضع مميز للمندوب السامي الذي تغيرت صفته إلى سفير.

واحتفاظ (بريطانيا) بقواعد بحرية في (مصر)، مع حقها في استخدام التسهيلات لقواتها التي تنسحب من (القاهرة) و(الإسكندرية) وباقي المدن إلى منطقة قناة السويس بعد ثماني

سنوات، وقد اعترفتْ (بريطانيا) بسيادة (مصر) على قناة السويس، على أن تظل (بريطانيا) في المنطقة حتى تصبح (مصر) قادرة حماية القناة عسكريًا، كما أن للجيش البريطاني حق العودة في حالة الحرب، كما أعطت (بريطانيا) حق المطالبة بإعلان حالة الطوارئ، وإعلان الإحكام العرفية في حالة قيام حرب.. كذلك ألغيت الامتيازات الأجنبية، وتسلمت (مصر) سيادتها التشريعية والقضائية بإلغاء المحاكم المختلطة.

واقترب الاستقلال ليكون أكثر واقعية، رُغم وجود الاحتلال البريطاني في بعض التراب المصري، وبهذه المعاهدة أصبحت (مصر) عضوًا في عصبة الأمم المتحدة، كما عادت القوات المصرية إلى (السودان) بعد سحبها في عام **1924**، وحددت المعاهدة مدة عشرين عامًا لبقاء القوات البريطانية في (مصر)، كما نصتْ المعاهدة على تدريب الجيش المصري وتزويده بالسلاح، وأعطت المعاهدة للطيران المصري حق التحليق في الأجواء البريطانية، كما للطيران البريطاني التحليق في الأجواء المصرية، وعهدت إلى الحكومة المصرية بناء ثكنات للقوات البريطانية بين القاهرة والإسكندرية وبورسعيد والإسماعيلية والسويس في حالة الضرورة، وكذلك التنقلات بين مدن القناة.

لم تلقَ المعاهدة تأييدًا كاسحًا كما كان متوقعًا من الحكومة؛ بل نالت من الاعتراضات الكثير لأنها ليست النتيجة التي كان ينتظرها الشعب، في طريق نضاله الذي سقط من بينه شهداء بالمئات، وكان

عدم الرضى على المعاهدة نتيجة بقاء القوات البريطانية في جزء من الأراضي المصرية، واستمر الحزب الوطني في المطالبة بالاستقلال التام ورفضه الكامل للمعاهدة.

بعد توقيع المعاهدة بدأ التحول الكبير في سياسة (الوفد)، الذي بدأ في سياسة حزبية متعصبة، وأخذت وزارته تميز المنتمين إلى (الوفد) عن سواهم، ونهجتْ نهجَ المحسوبية.. وازداد (النحاس) باشا في الحكم المطلق المستند إلى الديكتاتورية البرلمانية إذ أنه اطمأن إلى تأييد الإنجليز له بعد أن ظفروا منه بالمعاهدة، وروّج لها وسماها وثيقة الشرف والاستقلال، ومن ثم أخذ يسير في وزارته سيرة الحاكم بأمره، ويُخرج من الوزارة والحزب كل مَن يُعارضه، كما حدث مع (النقراشي) و(أحمد ماهر) وآخرين.. حيث اعترضوا على أسلوب (النحاس) وطريقته في الحكم، فانشقوا عن الوفد واعتبرهم (النحاس) مفصولين، وقام (أحمد ماهر) و(محمود فهمي النقراشي) بإنشاء حزب الهيئة السعدية، منافس لحزب (الوفد) الذي غيّر من قواعده رئيسه (النحاس) الذي قدّم طبقة الإقطاع إلى المصاف الأولي من الحزب، بعد أن كان طبقة المثقفين والمفكرين والفلاحين في قيادة الحزب، وأصبح الرأسماليون يتحكمون في سياسة (الوفد)، وأضفوا على (النحاس) سمات الزعامة المقدسة والدعوة إلى الخضوع لكل ما يراه، كما استحدث أسلوبًا جديدًا باصطناعه فرقًا سُمّيت بـ(القمصان الزرقاء)، كانت أداة سياسية لإرهاب خصوم الوفد

السياسين وأخذت تتسلح بالعصي والخناجر وتعتدي على اجتماعات المعارضين، وكان هذا التحول منعطفًا جديدًا في طريق الحركة الوطنية.

المعاهدة وتأثيرها على الحركة الوطنية:

شكلت المعاهدة بعثة بريطانية انتشرت في مختلف أسلحة الجيش لتدريبه وتحديثه وتزويده بالأسلحة، وزادت المعاهدة من عدد الجيش؛ ففتحت الكلية الحربية أبوابها للعديد من فئات الشعب بعد أن كان محظور عليهم الالتحاق بها، ومقصورة على أبناء الطبقة الحاكمة والباشوات والبكوات والإقطاعيين، وازداد عدد الطلاب في الكلية بعد أن كانت الدفعة لا تتجاوز العشرين طالبًا، ومن خلال المعاهدة التحقت بها دفعات 36، 37، 1938 الذين غيروا مجرى التاريخ في (مصر).

صراع (النحاس) و(فاروق):

لم تكن وزارة الوفد التي أتت بها الانتخابات تبدأ في تنفيذ سياستها بعد المعاهدة حتى أُقيلت في 29 ديسمبر 1937 بعد أن تولى الملك (فاروق) سلطاته الدستورية، والذي ورث عن


الملك فاروق

أبيه كراهية (الوفد).. وكان (فاروق) قد بلغ الثامنة عشر من عمره وتقدم زمرة من السياسيين واقترحوا بأن ينصب الملك في حفل ذو طابع ديني في الجامع الزهر، ولكن (النحاس) باشا رفض هذا الاقتراح حتى لا تزداد شعبية الملك على حساب الوفد، ذلك لأن الشعب المصري دائمًا ما يتعاطف مع المظاهر الدينية، وأصر (النحاس) على أن يتم حل مجلس الوصاية وتسليم الملك لسلطاته في البرلمان، كما ينص الدستور.

وما أن تمتع فاروق بسلطاته حتى أقال وزارة الوفد وعين (محمد محمود) باشا رئيسًا للحكومة الذي استدعى الفريق (عزيز المصري) وأفصح له عن رغبته في تعيينه رئيسًا لأركان الجيش المصري، وطلب خطة عاجلة لما يراه مناسبًا لإصلاح الجيش. كان (عزيز المصري) يرى أن تقوية الجيش تأتي بإقصاء البعثة الإنجليزية، والتي كانت تسيطر عليه سيطرة كاملة.


الفريق:
عزيز المصري

كان هناك اعتراضٌ شديدٌ على تعيين (عزيز المصري) من قِبل الإنجليز تخوفًا من موقفه الرافض للاحتلال، إلا أن (محمود) باشا أصر على تعيين (عزيز المصري) حتى ولو

اضطر إلى الاستقالة، لأن مفاوضته مع الإنجليز كانت تهدف إلى تقوية الجيش وتزويده بالسلاح المناسب، ونجح (محمود) باشا في استصدار قرار بتعيين (عزيز المصري) مفتشًا عامًا للجيش، الذي اعتبر الإنجليز وجوده في الجيش وأسلوبه الذي كان يتبعه من خلال محاضراته للضباط عملاً عدوانيًا على مصالحهم السياسية، فجُمدتْ وظيفته وسُحبتْ اختصاصاته، وأبْعد عن الجيش.

بعد استقالة وزارة محمود باشا كُلف (علي ماهر) باشا بتشكيل الوزارة ورَشح (عزيز المصري) وزيرًا للحربية، لكن الملك (فاروق) رفض ترشيحه بضغط من رئيس الديوان (أحمد حسنين) باشا لخصومته مع (عزيز المصري)، وانتهى الأمر بأن يكون رئيس أركان حرب الجيش، وعند مقابلته للملك أخبره بأن كل الجهات ضده، وأن هذا المنصب بدايةٌ؛ إن أحسن فيه فسوف يكون اختياره وزيرًا للحربية.

الحركة الثورية في الجيش:

في تلك الفترة الحُبلى بالإحداث، وكما أوردنا أن الحركة الوطنية كادت أن تسلك طريقًا آخر..

تشكّلت حركات ثورية انتشرت بين صفوف الشعب، ومحاولة كل منهم أن تضم أكبر قدرًا من الأنصار حتى تستطيع أن تكون ذات صبغة شعبية تستطيع من خلالها أن تقود الحركة الوطنية، بعيدًا عن الحكم، فنشأت حركة (الإخوان المسلمون) التي أسسها الشيخ

(حسن البنا) عام 1928، وكذلك الحركات الشيوعية ومنها (الحركة الوطنية للتحرر الوطني) والتي كان يطلق عليها (حدتو)، وحزب (وحدة الشيوعيين) كذلك قام بعض صغار ضباط الجيش بعمل منظمات وحركات داخل الجيش منها من أنضم للحركات المدنية، ومنها من قام بتنظيم عسكري داخل الجيش بعمل منظمات وحركات داخل الجيش، منها من انضم للحركات المدنية ومنها من قام بتنظيم عسكري داخل الجيش، حيث قام (جمال منصور) بتنظيم الجيش، وقامت مجموعة من الطيارين بإنشاء تنظيم مكون من عبد اللطيف البغدادي وحسن عزت واحمد سعودي وحسن إبراهيم ووجيه أباظة وعبد المنعم عبد الرؤوف. وضم حسن عزت زميلَهُ ضابط الإشارة (أنور السادات)، الذي تعرف على بعض ضباط الجيش الذي لهم ميول سياسية وتشتعل في داخلهم الثورة وكان من بينهم ضابطٌ ما كان يتحدث معهم عن فكرة تنظيم داخل الجيش، وإحداث تغير داخله، وكان هذا الضابط يدعى (جمال عبد الناصر) و(عبد الحكيم عامر)، وكانوا يخدمون في (منقباد) ونُقل بعدها عبد الناصر وعبد الحكيم إلى السودان في جبل الأولياء.

الحرب العالمية الثانية:

مع بداية 1940 والحرب العالمية الثانية مشتعلة كانت ألمانيا النازية تحرز النصر وراء النصر في أوروبا مما دفع موسوليني زعيم إيطاليا إلى دخول الحرب بجانب ألمانيا، خاصة بعد هزيمة (فرنسا)

واعتقد أن هذه فرصته، فدفع بقوات كبيرة من جيشه الموجـود في ليبيا داخل حدود مصر الغربية، فتصدي له الإنجليز بقوات كانـت تقل كثيرًا عن القوات الإيطالية، ولم يكن الجيش المـصري قـرب الحدود إلا بعد قوائك رمزية من الجيش والطيران.

أعلن علي ماهر رئيس الوزراء موقف (مصر) وعـدم دخولهـا الحرب إلا إذا غزت إيطاليا الأراضي المصرية أو تعرضت مـدنها إلى الغارات الجوية، وأمر بانسحاب تلك القوات مـن المنـاطق الـتي تعسكر بها إلى مناطق أخرى جديدة عند العلمين، ورفـض الفريـق عزيز المصري رئيس الأركان إشراك المقاتلات مع القوات البريطانية، كذلك رفض تحريك قوات مصرية إلى (سيوة) ضمن خطة الـدفاع عن الصحراء الغربية.

أجبر علي ماهر على الاستقالة لرفضه دخول الحرب، وتلكـؤ وزارته بطلب (بريطانيا) إبعاد الرعايا الإيطاليين من (مصر)، وخلفه في الوزارة حسن صبري باشا الذي جاء إلى الحكم لأول مرة لأنـه كان يرفض الاشتراك في الحكم إلا بعد الجلاء.. وبعد استقالة علـي ماهر أعفيَ عزيز المصري من منصبه.

كان خروج عزيز المصري من الجيش بداية الاتصالات الـسرية التي قام بها عدد من الضباط الذين وجدوا في هذه الاتصالات فرصة لتحرير (مصر) من القوات البريطانية، دون تقدير سليم لأبعاد الفكر

النازي.

عندما تقدم روميل في هجومه السريع نحو الإسكندرية قــررت مجموعة الطيارين إرسال الطيار أحمد سعودي مندوبًا عنهم إلى روميل لشرح وجهة نظرهم. كُلف وجيه أباظة بإعداد الخطة ولكنها باءت بالفشل بعد سقوط الطائرة قرب مرسي مطروح. ولم ييأس الطيارين من إعادة المحاولة، فقام الطيار محمد رضوان الذي استعان به وجيــه أباظة في وضع الخطة السابقة، قام بإجراء محاولة أخــرى ونجــح في الوصول إلى الألمان وتعاون معهم، إلا أنه اعتقل في برلين بعد انتصار الحلفاء، وحُكم عليه بالسجن 15 عامًا حتى أُفرج عنه بعد الثورة.

وفي نفس الوقت قام الفريق عزيز المصري بمحاولة الوصــول إلى الألمان فاستعان بالطيار عبد المنعم عبد الرءوف وحاول الهروب من (مصر)، إلا أن المحاولة باءت بالفشل بعد سقوط الطائرة بالقرب من قليوب وأُلقِيَ القبض على عزيز المصري وعبد الرؤوف، واعــتقلا لمدة عام ونصف، وأُفرج عنهم بعد وصول الوفد للحكم.

كانت المحاولة الأخيرة للاتصال بالألمان بطليْها السادات وحسن عزت، الذي اتصل بهما صديقٌ لهما يدعى (عبــد المغـــني ســعيد)، وعرفهُما برجلين ألمانيين جاءا إلى (مصر) متخفيين في زي ضــابطيْن إنجليزيين ليتعرفوا على أحوال القوات البريطانية واستعداداتها.

رحب السادات وحسن عزت بالتعامل معهما واقترحــا علـــى

السادات بصفته ذو خبرة في الأجهزة اللاسلكية، أن يقوم بإعداد جهاز لاسلكي لسهولة الاتصال بروميل في مكان ما في العلمين، فحدد معهما السادات موعدًا لزيارتهما وفحص الجهاز، فكان اللقاء في عوامة الراقصة (حكمت فهمي) الذان كانا يقيمان فيها.

كان الاثنان يعيشون كإنجليزيين بصورة لا تثير الشبهات حولهما، ينفقان عن سعة، ويبعُدان بنفسيهما عن كل مكان له صلة بالوحدات الحربية أو الجهات العسكرية، ولم تزد حياتهما طوال هذه الفترة عن مجرد السهر ليلاً في الملاهي الليلية والعودة مخمورين قرب الصباح إلى العوامة.. حتى انكشف أمرهما وقبض عليهما واعترفا بعلاقتهما بالسادات وحسن عزت، وقُبض عليهما وتمت محاكمتهما محاكمة عسكرية ضمن ثلاث ضباط مصريين وضابطين إنجليزيين، ولم يستطع المجلس العسكري أن يأخذ بأي اعترافات منهما، وحوكما بتهمة التجسس لكن مساعد نائب أحكام الجيش (محمد نجيب) اعترض على تكييف التهم، وانتهى الأمر بطردهم من الجيش واعتقالهم إلى نهاية الحرب، لكنهما تمكنا من الهرب واستطاع السادات أن يختفي حتى نهاية الحرب، وصدر قرارًا بالعفو العام، فعاد السادات إلى الحياة العامة من جديد.

حادث 4 فبراير:

وبالعودة قليلاً إلى المشهد السياسي الذي كان مليئًا بالأحداث في الحرب العالمية، متمثلة بالأزمات الداخلية وتلاحق وزارات، فبعد

إقالة النحاس ومحمد محمود وعلي ماهر الذي كان يراهن على انتصار المحور ورفض حكومته دخول الحرب، والذي جعل (إيدن) وزير خارجية (بريطانيا) يرسل برقية إلى (مصر) تطالب باستقالة علي ماهر.

كُلف حسن باشا صبري بتولي الوزارة، والذي توفي أثناء إلقاءه خطابَ العرش في البرلمان، ثم كُلف حسين سري بتشكيل الوزارة، والذي طالبته (بريطانيا) بقطع العلاقات بحكومة فرنسا -(فيشي)- الموالية للمحور، إلا أن أعضاء الوزارة رفضوا قطع العلاقات للترابط الثقافي بين (مصر) و(فرنسا)، وكانت المفوضية الفرنسية في القاهرة قد أعلنت تأييدها لحكومة فيشي الفرنسية بعد أن احتلها الألمان، وشُكِّلتْ حكومة موالية لهتلر.

وكان لدي بعض المعترضين على قرار قطع العلاقات وجهة نظر لها أهميتها؛ وهي القلق على مصير مئات الطلاب المصريين الذين يتلقون العلم في (فرنسا)، وبدا ذلك كله في المعارضة من جانب الدستوريين داخل مجلس الوزراء، ورغم هذه المعارضة استطاع حسين سري أن يستخلص قرارًا من مجلسه بقطع العلاقات.


أحمد حسنين

حدث هذا والملك فاروق في رحلة

إلي البحر الأحمر، وأسرع أحمد حسنين رئيس الديوان الملكي بالتدخل، واقنع حسن سري باشا بتعديل القرار من قطع العلاقات إلى إيقافها.

عاد فاروق من رحلته وعَلِمَ بما حدث وألقى باللوم على (صليب سامي) باشا وزير الخارجية، وإذا برئيس الديوان يطلب من وزير الخارجية أن يعتكف بداره.

غير أن حسين سري حل الأزمة، واعتقد أنه نجح في ذلك فطلب من وزير خارجيته استئناف عمله، غير أن رئيس الديوان عاد واتصل بالوزير مرة أخرى وطلب منه أن يلزم بيته، وهكذا نشب بين الوزارة والقصر صراعٌ، ورأى سري باشا أن الاعتراض على وزير الخارجية هو اعتراضٌ على حكومته فكان لابد من تقديم استقالته في 2 فبراير 1942م.

بعد استقالة الوزارة استدعى الملك فاروق الزعماء السياسيين إلى قصره وطلب منهم مناقشة الأمر ومحاولة حل هذه الأزمة والخروج من الاجتماع بوزارة قومية أو ائتلافية، وكان السفير البريطاني قد التقى مع الملك وطلب منه أن يقوم النحاس بتشكيل وزارة، وهو الذي يحظى بتأييد غالبية الرأي العام، ورد الملك على السفير بأنه دعي الزعماء السياسيين بمن فيهم (النحاس) باشا لتشكيل وزارة ائتلافية.

وأثناء اجتماع الملك بالسياسيين عرض الجميع فكـرة تـشكيل وزارة ائتلافية برئاسة النحاس، إلا أن (النحاس) باشا رفـض هـذا الاقتراح وأن تكون الوزارة وفدية خالصة.

علمت السفارة البريطانية بمقابلات الملك مع الزعماء وأرسـلت إلى حسنين باشا رئيس الديوان، وأبلغته بعلمها بمـا حـدث مـن اجتماعات، مطالبة بتكليف (النحاس) بتشكيل وزارة وفدية، إلا أن حسنين باشا رفض الاقتراح، وفي 4 فبراير طلب السفير البريطـاني مقابلة رئيس الديوان وسلمه إنذارًا نصه "إذا لم أعلم قبل الـساعة السادسة مساء أن (النحاس) باشا دُعيَ لتكليف الوزارة، فإن الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعية ما يحدث".

أسرع فاروق إزاء هذا الإنذار بالاجتماع مع الزعماء، فقال إني مستعدٌ فيما يتعلق بشخصي أن أضحي بكل شيء، فلا شيء يعنيني غير مصلحة (مصر) وكرامتها، وغادر الملـك الاجتمـاع وتـرك الزعماء يتباحثون الأمر قبل موعد الإنذار، وأكد النحـاس بأنـه لم يعلم بما حدث وأصر على موقفه بتشكيل وزارة وفدية خالصة.. وفي التاسعة من نفس اليوم حضر السفير البريطاني إلى القصر، وقامـت الدبابات البريطانية بمحاصرته واجتمع السفير البريطاني مع الملـك ورئيس الديوان، وطلب السفير من الملك أن يكلـف النحـاس أو يتنازل عن العرش، وأصر فاروق على موقفه وكاد أن يوقع علـى وثيقة التنازل إلا إن حسنين باشا أقنعه بأنه سوف يخسر الكـثير إذا

قبل التنازل ويجب عليه ألا يتسرع.

اقتنع فاروق بنصيحة رئيس ديوانه وقـبل بتأليف وزارة وفدية.

غادر السفير مايلز القصر وانسحبت الدبابات مـن مواقعهـا، ودخل الملك على المجتمعين ووجه كلامه إلى النحـاس قـائلاً: "إني أكلفك بتأليف الوزارة وأطلب إليك أن يكون حكمـك قوميًـا لا حزبيًا، كما أطلب منك أن تمر على السفارة البريطانية فتبلغ السفير بأنني عهدت إليك تأليف الوزارة".

وعند سماع النحاس لهذه العبارة قال: "إني أتلقـي الأمـر مـن جلالتكم ولا أرى ضـرورة لإبلاغ السفير".. فكرر الملك طلبه.



المندوب السامي البريطاني، يهنئ النحاس باشا، على توليه رئاسة الوزارة

صُـدِم الحاضـرون بمـا حدث، واخترق صوت أحمد ماهر السكون موجهًا كلامه إلى لنحاس: "إنك يا نحـاس باشا توليت الوزارة علـى أسنة الحراب البريطانية بعد أن رأيت الدبابات بعيني رأسك".. اعترض الملك على كلام أحمـد

ماهر قائلاً: "بل أنا الذي أكلفه بتأليف الوزارة".

وانتهي الاجتماع وعاد الوفد مرة أخرى إلى رئاسة الوزارة.

غضب ضباط الجيش من الأحداث وشعروا بالإذلال الذي واجهه الملك واعتبروه اعتداءً على الشرعية والسيادة المصرية وانتهاكًا للكرامة.

خرج من صفوف الجيش ضابطًا وهي البكباشي -(مقدم)- (محمد نجيب) بتقديم استقالته ورفعها إلى الملك قائلاً فيها: "حيث أني لم أستطع أن أحمي مليكي وقت الخطر، فإنني لأخجل من ارتداء بذلتي العسكرية والسير بها بين المواطنين، ولذا أقدم استقالتي".

كان نجيب الضابط الوحيد الذي قدم استقالته، ولكن الملك أعاد الاستقالة مع ياوره الخاص اللواء عبد الله النجومي مقدرًا له موقفه الوطني، واضطر لسحبها نزولاً على رغبة زملائه.

ما إن قبل (النحاس) باشا الوزارة حتى انخفضت شعبيته واتسعت شعبية الملك بين صفوف الشعب وصفوف الجيش.

اجتمع الضباط في ناديهم ليناقشوا ما حدث بفاعلية للرد على هذا الحادث بعنف.

اقترح الطيار عبد اللطيف البغدادي إنشاء خلايا سرية لاغتيال البريطانيين والساسة المصريين المتعاونون معهم، لكن هذا الاقتراح قوبل بالرفض لعدم فاعلية سياسية الاغتيالات، وفي اليوم التالي من

اجتماع الضباط طلب البغدادي مقابلة حسنين باشا رئيس الديوان وحدد له موعدًا، وحضر إلى الديوان مع زميل لـه معـبرين عـن غضبهما لما حدث، وإنهما على استعداد لعمل أي شيء للانتقام، ولو وصل الأمر إلى اغتيال (النحاس) باشا.

هدأ حسين باشا من غضب الضابطين وأقنعهمـا بـأن الملـك سيعالج الأمر بحكمة. وقد بلغت الإثارة بين الضباط حـدًا جعـل ضابطًا في مصلحة خفر السواحل يلقي بحذائه على رئيس الـوزراء أثناء خروجه المسجد بعد صلاة الجمعة، وتطوع عدد كـبير مـن الضباط للشهادة رغم عدم وجودهم في مكان الحادث. وبالرغم من عودة الوفد إلى سُدّة الحكم منعوتا بأنه جاء على أسنة الرماح إلا أن الوزارة استطاعت خلال حكمها أن تصدر قوانين اجتماعية لها تأثير كبير على الشعب، فقامت بإصدار قانون مجانية التعليم الابتـدائي، ويحسب لها هذه الخطوة جيـدًا وإنـشاء جامعـة فـاروق الأول (الإسكندرية)، وإنشاء ديوان المحاسبة وإصـدار قـانون اسـتقلال القضاء، وقانون عقد العمل الفردي والنقابات العماليـة، ووضـع مشروع الوحدات الصحية وكذلك إصدار قرار بالعفو العام لكـل المعتقلين السياسيين والمُحاكمين عسكريًا.

الاغتيالات السياسية:

في ظل الاحتقان السياسي الذي كان يعـم الـشارع المـصري

ظهرت على السطح فكرة الاغتيالات السياسية، فتشكلت مجموعة من ضباط الجيش والشباب وطلبة الجامعات مسيطرة عليهم فكرة الاغتيالات، وإن الإرهاب هو الوسيلة الوحيدة الممكنة للتخلص من كل ما هو مهادن للقصر وللسفارة ومتعاون معهم، وكما هو معلوم فإن حادثة فبراير أثرت في صدور الشباب الثائر من المدنيين والضباط، فكان النحاس هدفًا لهذه المجموعات أكثر من مرة، حيث قامت مجموعة مكونة من أنور السادات -المفصول من الجيش- وبعض الطلاب -حسين توفيق وسعد كامل ومحمد كامل الذي أصبح وزيرًا للخارجية فيما بعد- بإطلاق الرصاص على مصطفي النحاس، وفشلت المحاولة وتشكلتْ داخل الجيش مجموعة تتصل بسعد كامل وضمت الضباط: مصطفي كامل صدقي وحسن عبد المجيد وعبد الرؤوف نور الدين، وألقوا بقنبلتين على منزل (عبد الفتاح باشا عمرو) سفير (مصر) في لندن، وإلقاء القنابل على نادي الاتحاد المصري الإنجليزي بالزمالك.

استمرت سلسلة العنف داخل صفوف الجيش، حيث قررت مجموعة من الضباط وضباط الصف التخلص من إبراهيم عطا الله رئيس أركان الجيش، والذي كان بعيدًا كل البعد عن تحديث الجيش وتطويره بالرغم من سفره ضمن بعثة عسكرية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت بينه وبين الضباط عداوة جعلت فكرة التخلص منه تسيطر على فكرهم، ولكن سرعان ما أكتشف أمر هذه المجموعة

بعد تورط اليوزباشي مصطفي كمال صدقي -الضابط في مكتب عطا الله- وإلقاء القبض عليهم ومن بينهم البكباشي رشاد مهنا، وأفرج عن هذه المجموعة وأعفي إبراهيم عطا من منصبه وعين اللواء عثمان المهدي، كما عين حيدر باشا ياور الملك والمقرب منه وزيرًا للحربية في محاولة الملك فاروق للسيطرة على الجيش.

الحرس الحديدي:

كان تعيين حيدر باشا وزيرًا للحربية نقطة التقاء بخطوة أخرى فشلت في احتواء عدد من الضباط الذين اعتقلوا في حادث إبراهيم عطا الله وتشكيل تنظيم خاص للدفاع عن الملك والقصر، عرف باسم (الحرس الحديدي).

لم يكن هذا التنظيم خاضعًا للحرس الملكي أو للجيش وإنما كان تنظيمًا سريًا مرتبطًا بالقصر عن طريق يوسف رشاد طبيب الملك الخاص، ويضم من الجيش أحمد يوسف حبيب ومصطفي كامل، وفور تكوين الحرس الحديدي قام عبد الرءوف نور الدين ومعه أنور السادات بإطلاق الرصاص على مصطفي باشا النحاس من عربة من عربات القصر الملكي كان يقودها حسن عبد المجيد، فلم يصب الرصاص (النحاس) باشا على الرغم من قرب المسافة بينهما، وبعدها بأيام قليلة قام مصطفي كمال صدقي وعبد الرءوف نور الدين بمحاولة نسف منزل النحاس بسيارة حملت كمية كبيرة من المتفجرات، وكان ذلك نتيجة مواقف النحاس المتشددة في المسألة

الوطنية ورفضه لكافة محاولات التقريب بين الوفد والأحزاب الأخرى، وتقارب الوفد والسفارة البريطانية عن طريق أمين عثمان وزير المالية في حكومة الوفد، والذي فتح قناة اتصال بين الوفد والإنجليز ونهج سياسة تقارب النحاس مع السير ويلز السفير البريطاني، والذي صرح بكل صراحة أن العلاقات المصرية البريطانية علاقة زواج كاثوليكي لا طلاق فيها ولا رجعة عنها، وكان لتصريحه هذا ثمنًا غاليًا فدفع حياته باغتياله من قبل مجموعة حسين توفيق والسادات ومحمد كامل، وألقي القبض على هذه المجموعة وتمكن حسين توفيق من الهروب أثناء عرضه على النيابة وقام الكاتب الصحفي إحسان عبد القدوس بإخفائه في منزله حتى استطاع الهرب إلى الأردن ومنها إلي سوريا، وظل فيها إلا أن عاد إلى (مصر) بعد قيام الثورة، وبُرِّئَ أنور السادات من هذه التهمة.

في **8** أكتوبر **1944** وبعد أن وقّع النحاس على برتوكول الإسكندرية الخاص بإنشاء جامعة الدول العربية، أعلن عن إقالة (النحاس) باشا وأسندت الوزارة إلى أحمد ماهر باشا رئيس الهيئة السعدية، الذي حل البرلمان لإجراء انتخابات جديدة قاطعها الوفد، واجتمع البرلمان في **18** يناير **1945** وأعلن احمد باشا ماهر دخول (مصر) الحرب وهي تقترب من نهايتها ضد دول المحور، ولم تمض أيامٌ حتى أُغتيل أحمد ماهر أثناء مناقشة الحكومة في البرلمان بعد تنكر شاب من أعضاء الحزب الوطني في هيئة صحفي، وتقابل مع أحمد ماهر في البهو الفرعوني وحياه، ورد عليه أحمد ماهر، وما أن أدار

ظهره حتى أطلق عليه الرصاص.. قضى فيها الرئيس في الحال نحبه، وكانت هذه العملية احتجاجًا على قرار دخول (مصر) الحرب.

النهوض الجديد:



النقراشي

بعد اغتيال أحمد باشا، استدعيَ نائبه محمود فهمي النقراشي ليشكل الوزارة الجديد.

وبنهاية الحرب كانت بداية مرحلة جديدة من مراحل الجهاد الوطني، حيث قام النحاس وسط هالة إعلامية ضخمة من قبل صحفه بإرسال مذكرة إلى السفير البريطاني يطالب فيه بالجلاء الكامل عن (مصر)، ووحدها مع السودان.. ألهبت المذكرة حماسة الحركة الوطنية وخرجت تؤيدها وتؤيد النحاس الذي بدأ يعيد للوفد شعبيته من جديد وهو خارج الحكم، وتحت هذا الضغط الشعبي العام أرسل النقراشي مذكرة إلى الحكومة البريطانية في **2** ديسمبر **1945** يطالب فيها بسحب القوات البريطانية وقت السلم، مشيرًا إلى أن علاقات (مصر) و(بريطانيا) ستكون مستمرة على أساس من التحالف، ولكن جاء الرد البريطاني بما لا يتناسب مع المطلب

الوطني، ووصل إلى النقراشي ردًا جاء فيه أن سياسية حكومة جلالة الملك هي أن تدعم بروح الصراحة والود والتعاون الوثيق الذي حققته (مصر) ومجموعة الأمم البريطانية في أثناء الحرب.

رأت الجماهير أن هذا الرد هو الدليل على ربط (مصر) بمجموعة الأمم البريطانية وهذا يعني أن الاستقلال لن يجد في المفاوضات سبيلاً، فانفجر الموقف في الشارع المصري وكانت الحركة الطلابية صاحبة اليد العليا في قيام الاحتجاجات التي ساعدت في المد الشعبي الثوري ليشمل كافة الطبقات في المجتمع المصري.

عقد في الجامعة مؤتمرًا طلابيًا في 9 فبراير 1946 ضم الآلاف أعلن فيه عن رفضهم للرد البريطاني، ومطالبة الاستقلال التام، وعاد هتاف ثورة 1919م ينبض من جديد الاستقلال التام أو الموت الزؤام.. قام منظموا المؤتمر بتحريك ماهرة ضمت كل المشاركين في المؤتمر وبدأت السير إلى قصر عابدين قابلت الحكومة المظاهرة بقسوة شديدة فقام رجال الشرطة بفتح كوبري عباس وأصر الطلبة على عبوره وحاصرهم البوليس وانهال عليهم ضربًا بالرصاص مما أضطر بعض الطلبة بالقفز في النيل، وأصيب عدد كبير من الطلبة واعتقل حوالي 150 طالبًا، وعرفت هذه الحادثة بمذبحة كوبري عباس. فعمت المظاهرات ربوع البلاد تضامنًا مع زملائهم، وخرجت

في اليوم التالي جنازة صامتة وأقام طلبة الأزهر صلاة الغائب على أرواح الشهداء الذين سقطوا في المظاهرات، وعجزت وزارة النقراشي في مواجهة الموقف والذي أدى إلى استقالتها يوم 15 فبراير.

لم يجد الملك من يواجه الاحتجاجات والمظاهرات بقوة وتعسف سوي إسماعيل صدقي باشا، الذي عهد إليه بالوزارة، وكان صدقي المعروف بتاريخه دعا إلى المفاوضات مع الإنجليز بدلاً من المباحثات التمهيدية مع السفير البريطاني أولاً، ويعتبر (بريطانيا) صديقًا أو حليفًا وأن الرغبة في التحالف معها لا يحتاج إلى تدليل.. كان رد (بريطانيا) لصدقي إيجابيًا، فقامت بسحب السفير ما يلز (لورد كيلرن) بطل حادثة 4 فبراير وعينت بدلاً منه مستر رونالد كامبل.

بدأ صدقي عهده بإقناع السعديين بخطورة عودة الوفد إلى الحكم فضمن تأييد البرلمان وسمح باستمرار المظاهرات لأيام معدودة أملا فيها للطلبة عن استعداده للتعاون مع الوفد، لكن النحاس رفض التعاون إلا على أساس انتخابات برلمانية.

لعب صدقي بورقة الأخوان المسلمين وسمح لهم بالقيام بنشاطهم في مجال أوسع، وكذلك التوسع في إنشاء شُعبٍ لهم في مدن وقرى (مصر) دون تقييد.

لم تتوقف المظاهرات ولم ترَ في صدقي خيرًا، لمعرفتها بتاريخه

وتشككها في تصريحاته عن التحالف مع (بريطانيا).. توسعت المظاهرات وزاد غليان المتظاهرين بعد تصادمهم مع القوات البريطانية المتواجدة في معسكرات قصر النيل في ميدان التحرير(مكان النيل هليتون وجامعة الدول العربية حاليا) عندما اخترقت عربات البريطانيين المسلحة حشود المتظاهرين؛ فألقيَ عليها الحجارة وعلى المعسكرات، فرد الإنجليز بإطلاق الرصاص، سقط على أثرها عشرون شهيدًا مما جعل الغضب يدب في نفوس المتظاهرين؛ فانقضوا على المحلات الأجنبية ونادي الطيران الإنجليزي وحطموا كل ما وجوده في طريقهم مرتبطًا بالإنجليز.. واستمرت المظاهرات طوال الليل أمام قصر عابدين حاملين القمصان المخضبة بالدماء.

وفي الإسكندرية حدث صدام بين المتظاهرين والبوليس الحربي الإنجليزي الذي كان يحرس فندقًا يقيم فيه بعض ضباط البحرية البريطانية، حاول المتظاهرون إنزال العلم البريطاني من أعلى الفندق، وتصدى لهم الجنود بإطلاق الرصاص عليهم، وسقطَ في الصدام ثمانية وعشرون متظاهرًا واثنان من جنود الإنجليز وجُرِحَ ثلاثمائة واثنان وأربعون.

أخذت الحكومة البريطانية على صدقي تهاونه مع المتظاهرين؛ فأرسلت له إنذارًا، مما جعله يأخذ طريق القمع والقسوة؛ فأصدر قرارًا بمنع التظاهر واستخدم الجيش في قمع التظاهرات، إي أن

الجيش استطاع أن يبتعد عن التصادم مع المتظاهرين إلا قليلاً منه، ورأى الجنود والضباط أنه من غير المنطقي أن يكون الجيش سلاحًا في يد الحكومة لقمع الشعب.

حاول صدقي امتصاص الغضب الشعبي فقام بتأليف وفدًا للمفاوضات في 7 مارس 1946م بضم مجموعة من السياسيين المصريين الذين يؤمنون بأن التحالف مع (بريطانيا) أمرًا تقتضيه الضرورة والمصلحة، وقد رفض حزب الوفد الاشتراك في هيئة المفاوضات؛ مادام لا يملك رئاستها أو الأغلبية فيها.

شككت الصحف البريطانية في صحة تمثيل هيئة المفاوضات التي لا تمثل أغلبية الشعب، مما أغضب صدقي من الوفد، وتدهورت العلاقات مع (النحاس) باشا فقام بمصادرة الصحف الوفدية وأمر الجنود بمحاصرة دورها، وأصدر صدقي بيانًا هدد فيه الوفد بعنف، واقمهم بوضع العراقيل أمام المفاوضات بدفع الطلبة والعمال إلى الاضطراب والتظاهر.

اتفاقية صدقي - بيفين:

شكلت (بريطانيا) وفدًا للمفاوضات برئاسة وزير خارجيتها بيفين، وأصدرت بيانًا حددت فيه سياستها على أساس سحب كافة قواقا من (مصر) على أسس ثلاثة:

أولاً: توطيد التحالف مع (مصر) على أساس المساواة بين أمتين

تجمع بينهما مصالح مشتركة.

ثانيًا: أن يتقرر بالمفاوضات تحديد مراحل الجلاء.

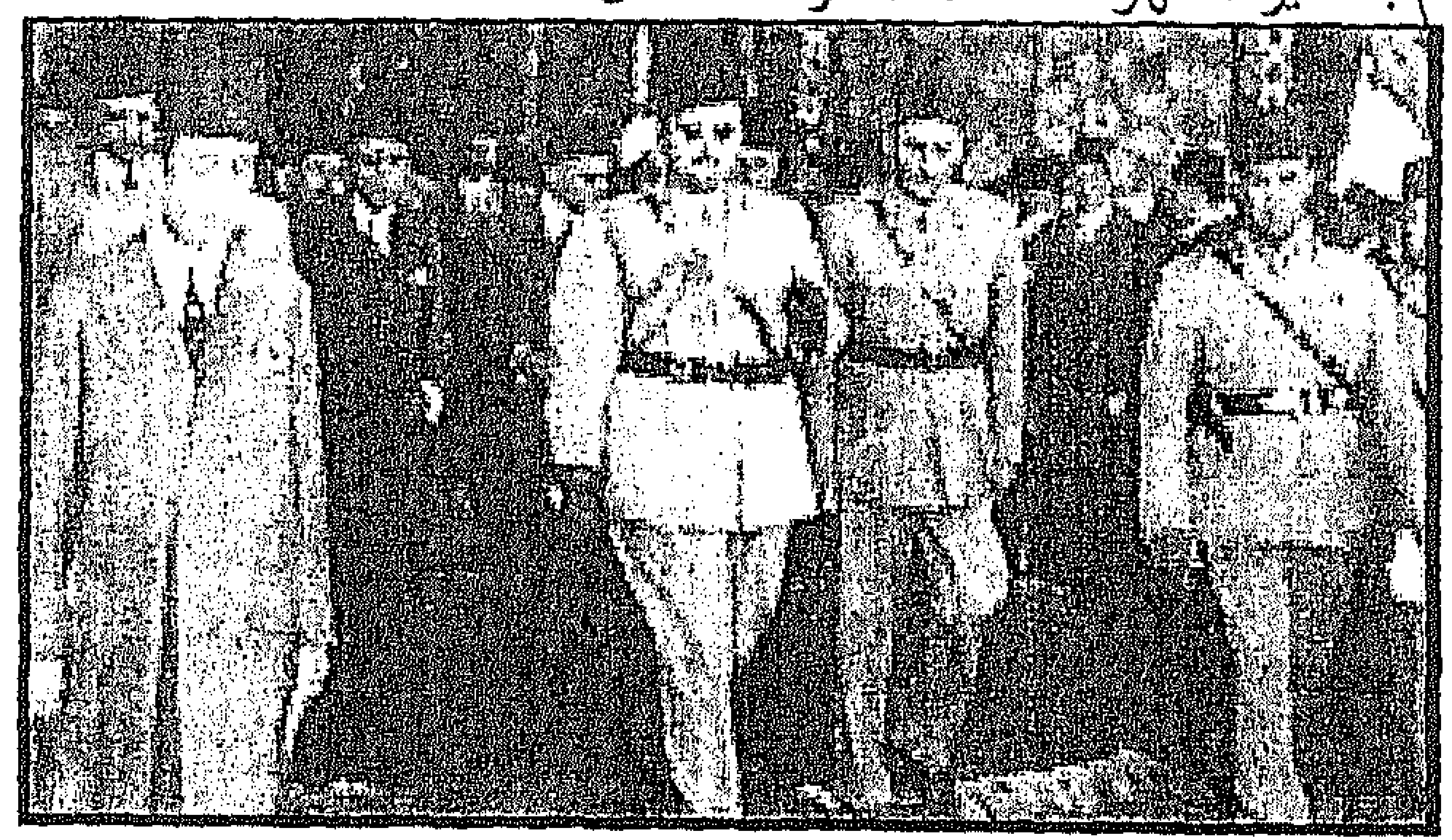
ثالثا: الاتفاق على ما يُتخذ من الحكومتين من التدابير لتحقيق التعاون في حالة الحرب أو خطر حرب وشيكة الوقوع.

رفض المصريون الاتفاق، وهُوجم من جميع الأطراف، وخرجت مظاهرات تندد بالاتفاق وأصدر حزب الوفد والحزب الوطني بيانًا هاجما فيه البيانَ البريطاني، ولكن استمرت المفاوضات حتى قَبِلَ الجانب المصري فكرة تكوين لجنة الدفاع المشترك، وخرجت المظاهرات وعقدت المؤتمرات لمقاطعة المفاوضات، إلا إن صدقي لم يصغِ لهذا الرفض الشعبي، وسافر إلى (لندن) ووقع بالأحرف الأولي على الاتفاقية التي لاقت رفضًا شعبيًا منقطع، وطالبوا بقطع المفاوضات وإلغاء معاهدة 1936، مما جعل سبعة من أعضاء هيئة المفاوضات يصدرون بيانًا أعلنوا فيه معارضتهم لمشروع (صدقي — بيفين) وكان هذا البيان نتاج للضغط الشعبي الكبير، وفشل صدقي في إخماد الحركة الوطنية بالرغم من قسوته واعتقاله لزمرة من المثقفين، وعدم نجاحه في استخدام الجيش لقمع المظاهرات، حتى اضطر إلى تقديم استقالته في 6 ديسمبر 1946..

وسقط مشروعه وانتصرت الإرادة الشعبية وعاد (محمود فهمي النقراشي رئيسًا للحكومة في 8 ديسمبر 1946، والذي وضع

قضية (مصر) لمناقشتها في مجلس الأمن، وسافر إلى نيويورك ليعرض قضية بلاده هناك..

وكعادته دائمًا هاجم (النحاس) باشا سَفر النقراشي إلى نيويورك وأرسل رسالة إلى مجلس الأمن مطالبًا فيه بعدم التعاون مع النقراشي لأنه لا يمثل غالبية الأمة المصرية، وكانت عادة النحاس أن يهاجم أي محاولة يقوم بها غيره، حتى يظهر بأنه الزعيم الحقيقي للأمة وإن كل حدث يقوم به مهما كانت نتائجه؛ يكون في مصلحة البلاد، أما إن قام به غيره؛ فهو ضد الجلاء والاستقلال.



كان سفر النقراشي لنيويورك مقدمة منه للاتجاه نحو واشنطن، بعد أن رأى في ظهورها بعد الحرب العالمية الثانية سندًا لقضية بلاده، ولكن خاب ظن النقراشي في أمريكا بعد أن رأت أن (مصر) من مصلحتها تأجيل البت في النزاع، فلا هي مستعدة للتصويت ضد

(مصر) ولا لتأييد جلاء الإنجليز عنها، أما من صوّت لصالح القضية المصرية فكان الاتحاد السوفيتي وبولندا وسوريا.

وكان النقراشي قد طلب من واشنطن أن تمنحه قرضًا ومساعدات اقتصادية فلم تُلبِ طلبه، وردها السلبي أنها ليس لديها خطة في الوقت الحالي عندما طَلب أيضًا أن تمد الجيش بخبراء عسكريين وأسلحة لتحديث الجيش.

الخلايا السرية والجيش:

ظهرت في الجيش كما ذكرنا من قبل عدة تنظيمات عسكرية كتنظيم الطيارين وتنظيم الجيش بقيادة جمال منصور، ولكن كانت كل خلية تعمل لنفسها دون تنسيق من أحد وكان الضباط يبحثون عن تنظيم قوي يستطيعون من خلاله أن يحققوا أهدافهم التي يسعون إليها، فكان الإخوان المسلمون هم أول خطوة رأى فيها الضباط التعاون معها استكمالاً لتنظيماتهم، فذهب البغدادي لمقابلة الشيخ حسن البنا رئيس الجمعية وعرض عليه فكرة التعاون بينهما، رحب الشيخ بالفكرة ولكنه اقترح إدماج التنظيمين في بعضهما مبررًا أن لدي الإخوان جنود هم الأعضاء المنضمون للجمعية، ويقدّر عددهم بما يقرب النص مليون، وأنه في حاجة إلى القادة القادرين على قيادتهم موضحًا ومؤكدًا له أننا ندعو إلى الدين لغرض سياسي نأمل في تحقيقه، ولسنا مشايخ طرق، ورفض البغدادي الاقتراح وبالرغم من الاعتراض على الاندماج إلا أن الشيخ البنا قَبِلَ التعاون.

بقيتْ الخلايا متفرقة لا تجد من ينسق أو يُجمّع بينها، وكان يلزم على أحد رؤساء هذه الحركات أن يحاول الاتصال بهم والجمع بينهم.

كان السبّاق في هذا التحرك هو جمال عبد الناصر الذي بدأ الاتصال ببعض الضباط الوطنيين، وذلك بغرض لم شملهم في تنظيم واحد.. بدأ جمال عبد الناصر بالاتصال ببعض ضباط الجيش والطيران المعروفين بوطنيتهم وجديتهم، ولهم احترامهم وسط زملائهم أو لسابق نشاطهم الوطني، وقد بدأ اتصاله بالطيار عبد المنعم عبد الرءوف الذي قام بمغامرته الشهيرة مع الفريق عزيز المصري، الذي عرّفه على الصاغ محمود لبيب مسئول الجناح العسكري في الإخوان المسلمين في جزيرة الشاي بحديقة الحيوان، وأيضا قدم له خالد محيي الدين وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم.



بعد لقاءات تعارف متعددة بين الضباط؛ بدأت علاقتهم بالإخوان المسلمين تزداد، وتكوّنت مجموعات عسكرية وبدءوا بعقد اجتماعات منتظمة فكانوا يجتمعون في بيت مجدي حسنين وأحيانًا في بيت الضابط أحمد مظهر (الفنان).

وانضم إلى هذه الاجتماعات بعد ذلك حسين الشافعي وسعد توفيق وصلاح خليفة وعبد اللطيف البغدادي، وكانت علاقة الأخوان بهذه المجموعة تتسم بالحساسية وفجأة وجد الأخوان أنفسهم أمام كنز من الضباط المستعدين لعمل أي شي من أجل الوطن، لكن هؤلاء الضباط لم يكونوا على ولاء كامل للإخوان، فكانوا مجرد عناصر تبعث عن طريقة لتحقيق أهدافها من خلال هذا التنظيم القوي الممتد في إنحاء البلاد.

كان جمال عبد الناصر يرى أن الإخوان يريدون استغلالهم كضباط ليكونوا أداة في أيديهم وإعطائهم مكانة سياسية بوجود نفوذ لهم في الجيش، وكان جمال يلح في الاجتماعات بأن نستغل ضخامة عدد الأخوان وكثرة شُعبهم في البلاد، يبدأ عمليات ضد الاحتلال والقيام بمظاهرات وتحركات جماهيرية، والإسراع في استخدام القوي، وكان يعاونه في ذلك الأمر خالد محي الدين.

حدد الصاغ محمود لبيب مقابلة لعبد الناصر وخالد محي الدين مع الشيخ حسن البنا المرشد العام للجمعية –والذي كان يمتلك مقدرة فذة في الإقناع والتسلل لنفوس مستمعيه بشهادة كل من قابله وتعامل معه– وتمت المقابلة بينهم، وبذكاء وهدوء أوضح لهم الشيخ البنا أن الجماعة تعاملهم معاملة خاصة، ولا تطلب منهم نفس الولاء الكامل الذي تطلبه من العضو العادي، وشرح لهم أن الإخوان كالبهو الواسع الأرجاء يمكن لأي مسلم أن يدخله من أي

مدخل لينهل منه ما يشاء، فالذي يريد التصوف يجد تصوفًا، ومن يريد أن يتفقه في دينه، فهم جاهزون.. ومن يريد رياضة وكشافة يجدها، ومن يريد نضالاً وكفاحًا مسلحًا يجدهما، وأنتم بهدف القضية الوطنية فأهلاً وسهلاً.

بعد لقاءات جمال ومعه خالد مع الشيخ البنا أتصل بهم صلاح خليفة وأخذهما إلى بيت في الصليبة في حي الدرب الأحمر، وأقسما على المصحف والمسدس يمين الطاعة للمرشد العام والبيعة الكاملة الشاملة على كتاب الله وسنة رسوله، ولكنهما قررا أن يبتعدا عن التنظيم.

حرب فلسطين

في نوفمبر **1947** صدر قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وأعلنت (بريطانيا) أنها سوف تنهي انتدابها على فلسطين في **15** مايو **1948**.

في تلك الفترة اتجهت أنظار الحركة الوطنية إلى فلسطين وكان عدد من زعماء الحركة والساسة المصريين قد أعلنوا عن رفضهم للقرار، وكان (النحاس) باشا قد أرسل من قبل رسالة إلى السفارة البريطانية بأن (مصر) لن تقبل بقيام دولة يهودية على حدودها، وكانت العصابات الصهيونية تمارس أعمال الإرهاب والقتل في المدن الفلسطينية، وكانت الوكالة اليهودية تساعد في إقامة المستوطنات أثناء فترة الانتداب.

23 يوليو

بعد قرار التقسيم، زادت عمليات الهجرة اليهودية إلى فلسطين واتسع نطاق العمليات الصهيونية العسكرية، خرجت المظاهرات تطالب بالتطوع للدفاع عن أرض فلسطين، ولم تكن الحكومة المصرية تفكر بدخول الحرب، ففُتحت مكاتبُ التطوع للمدنيين وأقبلَ عليها الكثير من المواطنين وقام بعض الضباط بتقديم استقالتهم للتطوع في الحرب، وكانت كتائب الأخوان المسلمين في المصاف الأولي التي تسللت داخل الأراضي الفلسطينية تحت قيادة (قائم مقام / عقيد) أحمد عبد العزيز، ومعه من ضباط الإخوان كمال الدين حسين وعبد المنعم عبد الرءوف ومتطوعين من كافة الاتجاهات والحركات الوطنية من مدنية وعسكرية، وتولى قيادة جيش المتطوعين، حيث كانت له صولات وجولات أثناء المعارك، وأبلو بلاءً حسنًا، ويذكر التاريخ أن الإخوان المسلمين قاموا بحسم معارك وتحرير مناطق من العصابات الصهيونية، ولكن ما إن كانت تُسلم المناطق المحررة إلى القيادة العربية فيعود اليهود لاحتلالها مرة أخرى لأسباب متعلقة بمباحثات بين اليهود والقيادة الأردنية أثناء سير المعارك.

لم يكن لجوء استخدام النقراشي للقوة المسلحة ودخوله الحرب أمرًا واردًا حتى يوم 11 مايو، ففي الثاني عشر من مايو 1948 عقدت جلسة سريعة في البرلمان لطلب من النواب الموافقة بدخول الجيش أرض فلسطين، وكان هذا الطلب مثيرًا للانتباه والدهشة،

وأثار الطلبُ التعجبَ بعدما عُلِمَ من مصادر أن الملك أصر على دخول الحرب، وأعطى أوامره لحيدر باشا وزير الحربية دون علم النقراشي بتجهيز الجيش لدخول فلسطين فور نهاية الانتداب في يوم 15 مايو.. وأثناء الجلسة دارت مناقشات بين النقراشي باشا والأعضاء وصلت إلى المشاحنات عندما سأل فؤاد باشا سراج الدين -زعيم المعارضة الوفدية في مجلس الشيوخ- رئيسَ الوزراء عما إن كان قدَّر موقف الإنجليز ووعد بلفور، وعن احتمالات طعنهم للجيش من الخلف، فكان جواب النقراشي: "إنني متفائلٌ ونحن نعرف قوة اليهود تمامًا، وأحب أن أطمئنك إلى أن الإنجليز أيضًا هم الذين شجعوني على ذلك"، وأعترض أيضًا إسماعيل صدقي على دخول الجيش، إذ أنه غير مستعد من الناحية العسكرية، وأن الجيش ليست لديه الأسلحة الكافية لدخول المعركة، لأن تسليح الجيش توقف بعد توقف المفاوضات في 1946، وكان رد النقراشي: "إنها نزهة عسكرية للجيش"، ولم يكن يدرك النقراشي عواقب الأمور ومساعدة الإنجليز للعصابات اليهودية، ومعها أوروبا، وأثبتت التحقيقات بعد الحرب أن أسلحة الجيش لم تكن تكفيه لمدة ثلاثة أيام، ولكن تحت ضغوط الملك فاروق استجاب رئيس الوزراء لطلبه وحرك الجيش قبل موافقة البرلمان، وتشكلت قيادة الجيش برئاسة اللواء أحمد النواوي وعُيِّن محمد نجيب الرجل الثاني في القيادة، وشارك جمال عبد الناصر وصلاح سالم وزكريا محي الدين والبغدادي

–الذي كان أول طيار يلقي بقذائفه على تل أبيب– وعبد الحكـيم عامر ضمن قوات الجيش.

ذاع صيت محمد نجيب في الحرب ونقلت عنه بطولات إلى أسماع الشارع المصري، وأصيب أكثر من مرة بعد اشتراكه في 21 معركة ضد اليهود، وأطلق عليه أنه رجل ضد الرصاص.

أثناء سير المعارك وقع خلاف بين اللواء النواوي و(القائم مقام – عقيد) محمد نجيب برفض النواوي الخطة التي وضعها نجيب، ممـا أدي لوقوع خسائر فادحة في الأرواح، ممـا أضـطر القـوات إلى الانسحاب، واجه نجيب قائده واتهمه بالفشل العـسكري وطالـب النواوي محاكمته بتهمة ازدراء القيادة بعد أن وجـه لـه اتهامـات وإهانات تدل على جهله بالفنون العسكرية والقتال، وعاد نجيب إلى القاهرة قائدًا لمدرسة الضباط العظام تعويضًا عن دوره في فلـسطين، وبدأ يتحدث مع ضباطه عن ضرورة التغيير، وأثناء الفوضى الـتي عمت القيادة كانت الكتيبة التاسعة في الجيش تقوم بدورها البـارع في الاستيلاء على المستوطنات في غزة، فأثنـاء الاسـتيلاء علـى مستوطنة (نتساليم) استشهد قائد السرية وتقدم عبد الحكيم عـامر أركان حرب الكتيبة وأستمر في المعـارك، وتم الاسـتيلاء علـى المستوطنة، وأصيب عبد الحكيم بشظية في رأسـه ورقـي ترقيـة استثنائية.

أقال الملك (النواوي) وعين بدلاً منه اللواء فؤاد صادق الـــذي أمر بعودة محمد نجيب قائدًا للواء العاشر، وترقيته ترقيه استثنائية إلى رتبة اللواء.

في منطقة الفالوجا حوصرت قوة مصرية بقيادة اللواء سيد طـــه الذي سمي بالضبع الأسود لصموده مع قواته المحاصره من قبل اليهود من ثلاث جبهات، طارت أنباء الحصار إلى العالم وتحولت الأنظار إلى الجيش المحاصر تنقل أخباره وأخبار قواته المصرية وحـــددت الأيـــام والساعات التي سوف تسقط فيها القوة أسري حرب في يد القوات اليهودية.



صمدت قوات الحـــصار وســـط مفاجأة العـــالم ولم يتمكن العدو مـــن تحقيـــق أهدافـــه ودعاياته وأحلامه، وحققـــت القـــوة المصرية بصمودها ملحمة من البطولة رغم كل الظروف التي أحاطت بهـــا

وخاض أفرادها معارك وبطولات وصفت بمعارك المجد والشرف ومع طول مدة الحصار التي بلغت أربعة أشهر ونصف إلا أن العدو لم يتمكن من إبادة القوات ولم ينل ما يتمناه وهو استسلام القوة.

في حادث غامض أستشهد الأميرلاي عميد أحمد عبد العزيز قائد القوات المتطوعة بعد أن جاءته إشارة استدعاء وأثناء انتقاله بالسيارة الجيب التي كان يقودها صلاح سالم في منطقة محظور فيها التجوال أصيب البطل أحمد عبد العزيز بإصابة بالغة وحاول صلاح سالم إسعافه ولكن دون جدوى، ولبعد المسافة


البطل أحمد عبد العزيز

بينهما وبين القوي المصرية ظل ينزف حتى لقي ربه شهيدًا وعم الحزن في القاهرة لاستشهاده، وقد علم عن أحمد عبد العزيز الكثير أثناء الحرب وعرفت عنه بطولات أثناء المعركة، من خلال اللقاءات والحوارات الصحفية التي قام بتغطيتها الصحفي محمد حسنين هيكل الذي نقل للشعب المصري وجهًا يبشر بظهور بطل جديد من

صفوف الجيش ولكن القدر حال بينه وبين هذا الظهور كذلك تأثر الضباط باستشهاد أحمد عبد العزيز لأنه كان معروف بينهم بخلقه العالية ووطنيته الحماسية المندفعة وتحليه بأخلاق الفرسان.

جلس جمال عبد الناصر الذي كان أحد ضباط الفالوجا ومعه صلاح سالم وذكريا محي الدين بعد أن اخترقا الحصار لمعاونة زملائهم لا يعرفان نتيجة لهذه المعركة ولا نهاية لها، وكان حديثهم الشاغل وطنهم الذي يتعين عليهم إنقاذه وشاركهم في المعارك الملازم وحيد رمضان الذي قام بعملية عسكرية جريئة قطعت على العدو محاولة المرور من ثغرة والتقي بجمال عبد الناصر وشرح له الموقف وأكد له جمال ضرورة استعادة الموقع بأي ثمن لسد ثغرة الاختراق، وبدأ وحيد رمضان معركة مع القوه اليهودية واحتل الموقع واستطاع خلال ساعة أن يبيد القوة اليهودية واستعادة الثغرة وإغلاقها وتم التواصل بين القوات لتمكينها من الصمود ضد محاولات العدو لاختراقها وتمزيقها والقضاء عليها، كان وحيد رمضان موقوفًا حيث كان يحاكم أمام محكمة عسكرية ميدانية ولكن قائد القوات عفا عنه بعد الموقعة وطلب من القيادة العامة ترقيته ترقية استثنائية.

واستمر الحصار مع محاولات اليهود اختراقه واستمرار أبطاله في التصدي لتلك الهجمات وكانت تأتيهم المساعدات من المناطق الأخرى حيث ركز الأميرلاي سعد الدين صبور قائد سلاح الفرسان ورئيس هيئة الأركان المصرية في القيادة العليا للجيوش العربية ركز

جهوده في عملية إمداد الفالوجا بما يحتاج إليها أفرادها من أطعمة وأدوية ومعدات طبية وذخائر كانوا في أشد الحاجة إليها، وعلى الرغم من الأخطاء والصعاب الكثيرة التي واجهت عملية الإمدادات فقد نجح الأميرلاي صبور ومساعدوه من ضباط القوة الخفيفة والمتطوعين المتمركزين في الخليل وبيت لحم في إعداد قوافل تضم أعداد كبيرة من الجمال والبغال لتحميلها المؤن والإمدادات وأوكلت مسئوليه التسلل بهذه القوافل عبر الطرق والمسالك السرية إلى بعض الفلسطينيين العارفين بها وتولي اليوزباشي (نقيب) معروف الحضري الضابط الشجاع قيادة القوافل والوصول بها إلى الفالوجا والعودة بالمصابين إلى بيت لحم حيث يتم نقلهم إلى القاهرة، وأخذ معروف الحضري القوافل ذهابًا وعودة لنقل الإمدادات للقوة المحاصرة رغم تعرضه للمخاطر من قبل القوات اليهودية ولكنه لم يأبَ لهم وقد حدث أثناء وصول القوافل حادث طريف قام به السيد طه بعد وصول إحدى القوافل من غزة رأي السيد طه أن رجاله لم يزوقوا اللحم منذ زمن طويل، اتفق مع الأعراب الذين يقودون القافلة أن يستولي على الجمال البالغة 52 جملاً مقابل إيصال موقع منه أنه استلم الجمال وأخذ الجمال وأمر بذبحها كلها واجتمع الجنود والضباط حول جبال اللحم فأتوا عليها وهم يهللون ويغنون ويرقصون.

بالرغم من عدم خبرة حيدر باشا وجهله الواقعي بكثير من فنون

الحرب فقد أرسل إلى قائد الجيش الأردني جلوب باشا الإنجليـزي يطلب منه وضع خطة انسحاب القوة المحاصرة ووضع جلوب الخطة أن يكون الانسحاب ليلاً بشرط أن تترك القوة أسلحتها وأرسـلت الخطة للأميرلاي السيد طه عن طريق ضابط الاستطلاع في الجـيش الأردني (الإنجليزي) الذي قابله معروف الحضري وأوصله إلى قيادة القوة المحاصرة وسلمت الخطة، واجتمع السيد طه مع ضباطه لمعرفة ما تحتويه ولكنهم رفضوا الخطة وأخبر ضـابط الاتـصال أنهـم لم يستسلموا ولم يتركوا أسلحتهم ولم ينسحبوا بدونها

كانت الساحة الداخلية تزداد حراكًا ولجـأ التنظـيم الـسري للإخوان المسلمين للاغتيالات السياسية فقامت مجموعة من الإخوان باغتيال اللواء سليم ذكي حكمدار بوليس القاهرة أثناء تواجده أمام كلية الطب التي كانت تعج بالمظاهرات فألقيت عليه قنبلة يدوية من أحد أسطح مباني الكلية فأودت بحياته في الحال، وكذلك اغتيل احمد باشا الخازيندار رئيس محكمة الجنيات وهو خارج من منزله وكـان يحاكم أفراد من الإخوان وكانت الحادثـة رسـالة تهديـد لعـدم الاستمرار في المحاكمات.وبالرغم من أن الحوادث اقترنت بجماعـة الإخوان إلا أن الشيخ حسن البنا المرشـد العـام أدان العمليـات وهاجم منفذوها واعتبرهم مفصولون من الجماعة لأنه لا يقر سياسة العنف.

كان لوقوع هذه الحوادث أثرا كبيرا في الشارع السياسي ممـا

23 يوليو

جعل النقراشي باشا يصدر قرارا بحل جماعة الإخوان المسلمين ومصادرة أموالها وممتلكاتها وحظر نشاطها فما كان من رد الإخوان أن اغتالت النقراشي باشا في بهو وزارة الداخلية عندما استطاع شاب ينتمي إلى الإخوان أن يتنكر في زي ضابط شرطة والتسلل إلى الوزارة وعند وصول رئيس الوزراء إليها التي كان يرأسها بجانب رئاسة الحكومة استقبله الشاب عند المصعد وحياه تحية عسكرية وأطلق عليه الرصاص فأرداه قتيلا واعترف القاتل بانتمائه للإخوان وانه قام بفعلته انتقاما لحل الجماعة، ومن الغريب أن هذا الشاب كان من بين مجموعة مطارده من البوليس السياسي إلا أن النقراشي رفض التوقيع على قرار اعتقالهم مكتفيا بما تم من اعتقالات بين صفوف الإخوان.

خلف النقراشي في رئاسة الوزراء صديقه وزميله في الحزب إبراهيم عبد الهادي فأصدر أوامره باعتقال أعضاء الجمعية وعذب الكثير منهم في السجون، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل تعداه حتى أن أجهزة وزارة الداخلية أعدت كمينا للشيخ حسن البنا واغتياله في وسط القاهرة أمام مبني جمعية الشبان المسلمين إثناء خروجه منها في فبراير **1949** حيث قام الأميرالاي محمود عبد الحميد مدير المباحث الجنائية بتدبير الجريمة وقد احضر اثنان من المخبرين من الصعيد للقيام بهذه المهمة وقاموا بتنفيذها، فزاد ذلك من سخط الشعب وتذمره من هذا الإرهاب الحكومي وأحس أن

البوليس بدل من أن يكون أداة امن فقد أصبح أداة قهر.

لقاء عبد الناصر مع اليهود.



في صباح24 أكتوبر 1948 في جيب الفالوجا وفترة سكون المدافع وزئير الطائرات جاء إلى الضابط جمال عبد الناصر احد الجنود يخبره بان هناك مدرعة ترفع راية بيضاء يصدر منها صوت يعلن رغبة ضابط إسرائيلي في مقابلة ضابط مصري .

ركب جمال سيارته وذهب إلى الموقع ومعه اثنان من زملائه الضباط وجندي يحمل مدفعًا رشاشًا وانطلقوا بالسيارة إلى المنطقة الحرام بينهم وبين العدو، وقفت السيارة في محاذاة مدرعة العدو التي أطل منها راكبوها وفي عيونهم دهشة ثم استجمع أحدهم كبريائه وشد رأسه في عنجهية وقال بالإنجليزية: أنا المساعد الشخصي للقائد العام لهذا القطاع، وأنا مكلف بأن أشرح لكم موقفكم من كل ناحية ونحن نطالب استسلامكم، فرد عليه عبد الناصر في هدوء: أما الموقف فنحن نعرفه جيدًا ولكن الاستسلام لن يحدث، نحن ندافع عن شرف جيشنا 00 وبدأ اليهودي التحدث بالعبرية وأحد مرافقيه يترجم ثم عاد يتكلم بالإنجليزية ثم تنازل عن كبريائه وبدأ يتكلم العربية وهو يشرح لهم، فقاطعه عبد الناصر: إنك تحاول عبثًا ونحن

نرفض الاستسلام. وحملق فيه الضابط كوهين ورد عليه مستنكرًا: ألا ترجع إلى قائدك تسأله؟، فرد عليه جمال: هذا موضوع ليس فيه مجال لسؤاله.

ساد الصمت قليلاً وهم ينظرون إلى بعضهم فبدأ قناع الكبرياء يسقط عن وجه كوهين، وطلب منه في صوت خافت ومؤدب-! - لنا طلب إنساني، وهو أن نسحب جثث قتلانا عندكم، في المعركة السابقة. فأجاب جمال عبد الناصر طلبه في ثقة كاملة: نحن نوافق لكم على هذا الطلب الإنساني، وكان هذا اللقاء الأول بين جمال عبد الناصر واليهود، (وقد أثار البعض هذه القصة ولوح بها بأن جمال عبد الناصر كانت له علاقات مع اليهود أثناء حرب فلسطين) وتمت مفاوضات عسكرية بين وفد مصري بقيادة السيد طه وكان ضمن الوفد البكباشي أ.ح رزق الله عطية والصاغ أركان حرب جمال عبد الناصر والملازم أول إبراهيم بغدادي وطلب اليهود من الوفد المصري التسليم إلا أن السيد طه رفض التسليم مؤكدًا أنه لم يأت للتسليم ولكن للتفاوض حول انسحاب الجيش إلى قطاع غزة وتعددت المفاوضات دون أن تصل إلى نتيجة فكل طرف مصمم على طلبه.

مباحثات رودس

في يناير **1949** عقدت في جزيرة رودس مفاوضات الوفدين المصري والإسرائيلي تحت مظلة الأمم المتحدة وكانت الوفود تضم

عسكريين من الجانبين. كانت المفاوضات مليئة بالمشاكل وأبرزها رفض رئيس الوفد المصري اللواء إبراهيم سيف الدين الجلوس مباشرة مع الوفد الإسرائيلي برئاسة إيجال يادين وفشل الوسيط الدولي رالف بانش في إجراء مباحثات مباشرة بين الطرفين.

وفي فلسطين وأثناء إجراء المفاوضات أعد أحد قادة الفالوجا خطة لفك الحصار عنها مع التضحية بنسبة من حاميتها ولكن جمال عبد الناصر عارض ذلك حتى تكون القوة عامل ضغط سياسي للمفاوض في رودس التي كانت مهددة بالفشل إلا أن الوسيط توصل إلى حل وسط بأن يجلس كل وفد في حجرة مستقلة ويقوم الوسيط بنقل وجهات النظر المتفق عليها في بعض الأحيان والمختلف عليها في أحيان أخرى واتفق الطرفان على فك الحصار وترحيل القوات المصرية بأسلحتها اعتبارًا من 24 و 25 يناير 1949 ووقعت (مصر) وإسرائيل اتفاقية رودس التي تنظم عمليات الانسحاب وصدر الأمر الملكي في 11 فبراير 1949 يوم عيد ميلاد الملك بترقية الضباط والجنود في قوة الفالوجا تقديرًا لبسالتهم وبطولتهم في ميدان القتال وكان من ضمن من نالوا العطف السامي جمال عبد الناصر وقد منح نيشان النجمة العسكرية واليوزباشي أحمد البلتاجي وحسن التهامي وحصلا على نجمة الملك فؤاد العسكرية والملازم ثان شمس بدران وسعد عياد حصلا على نوط

الجدارة الذهبي واليوزباشي محمود كشك حسن محمد أحمد متـــولي والملازم أول إبراهيم بغدادي وحصلوا على نوط محمد على الذهبي وحصل كل رجال الفالوجا على أنواط ونياشين ملكية وعـــادوا إلى أرض الوطن في استقبال شعبي حافل واستعرضهم الملك أمام قـــصر عابدين بعد أن حافظوا على كرامة الجيش بعد الهزيمة المذلـــة الـــتي ألحقت بالجيوش العربية والجيش المصري.

ولكن كانت مكافأهم الحقيقية هي نقلهم وتشتيتهم إلى منـــاطق متفرقة ومتباعدة.

العودة...... والتنظيم

عاد الجيش من فلسطين يجر الهزيمة وضباطه مقتـــنعين بـــأن ولاة الأمور في البلاد أرسلوهم إلى معركة لا يعـــرف مـــصيرها إلا الله، جيش غير مستعد، أسلحة غير كافية، ومدوا بأســـلحة فاســـدة لم تسعف الجيش بل زادت من انحداره.

عاد جمال عبد الناصر وفي ذهنه إكمال ما بدأه قبـــل الحـــرب وعاقدًا العزم على ضرورة التغيير بعد أن عاش مرارة الحرب ومـــا حدث لهم في الفالوجا.

اتصل جمال عبد الناصر بالضباط اللذين قابلهم قبل الحرب وعاد نشاطهم من جديد فبدأ كل واحد منهم يضم من يراه صالحًا لتكوين تنظيم للعمل من خلاله دون اللجوء إلى تنظيمات أخرى لها خلفيـــة

عقائدية.

في يونيو 1949 ضبط لدي الجهاز السري للإخوان كتاب من كتب الجيش الممنوع تداولها للأفراد المدنيين والتي يقتصر توزيعها على ضباط الجيش؛ وهو كتاب (كيفية استخدام القنابل اليدوية) وفي أعلى الصفحة الأولي وجد اسم اليوزباشي جمال عبد الناصر وأثارت هذه الواقعة مخاوف الحكم من أن يكون للإخوان امتدادًا داخل الجيش، ولفرط اهتمام الحكم بهذا الموضوع تولي التحقيق فيه إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء بنفسه الذي استدعى عبد الناصر ومعه الفريق عثمان المهدي رئيس هيئة الأركان وسأله رئيس الوزراء هل هذا الكتاب لك ؟ قال نعم 00 وسأله هل لك علاقة بالإخوان ؟ فقال كنت أعرف ضابط منهم اسمه أنور الصيحي وقال عبد الهادي باشا ولمن سلمت هذا الكتاب ؟ فقال جمال استعاره مني أنور وسأله عبد الهادي أين هو ؟ فرد جمال استشهد في حرب فلسطين.. وهنا ثار عبد الهادي ودق المكتب بيده غاضبًا وصاح أنت يا أفندي بتضحك على أنتوا عاوزين تخربوا البلد أنتوا فاهمين إيه... البلد دي لا تتحمل أي واحد جريجي (خواجة يوناني) بينطلون مزيت تحصل له أي حاجة وإلا كان الأجانب يبهدلونا.. أنتم لا تعرفون مدي الخطورة في أن ضابط جيش يشتغل مع الإخوان.. وسط هذه الثورة تذكر جمال أن في جيبه ورقة خطيرة كانت الخط الأصلي لبيان سياسي وفي أثناء هذه الثورة أيضًا دق التليفون وأنشغل عبد الهادي

23 يوليو

باشا بالمكالمة وأستأذن جمال في الذهاب إلى دورة المياه ليتخلص من الورطة التي في جيبه ويعود ليجد عبد الهادي وقد هدأ قليلاً إن كان قد واصل تهديده وقال له في النهاية أن سيادة الفريق عثمان المهدي قال عنك كلام كويس ولولا هذا أنا كنت وديتك في داهية، من الآن فصاعدًا أنت ضابط جيش وبس ولا علاقة لك بأحد.

واعتبر عبد الناصر أن هذه المقابلة بمثابة إنذار وقرر أن يبدأ عملاً جادًا.

الثــورة

23 يوليو

الضباط الأحرار

عادت المشكلة الوطنية من جديد بعد انتهاء حرب فلسطين وإصرار الشعب علي الجلاء وثورته ضد حكومة عبد الهادي التي أشبعت الشعب قهراً وتنكيلاً وجعلت من الشعب يزداد ثورة ضد الحكم ، لم يجد الملك من وسيلة إلا التضحية بحكومة إبراهيم باشا عبد الهادي فأرسل إليه محمد حيدر باشا في منتصف الليل يأمره بتقديم استقالته دون أن يقابله وخرجت الصحف في اليوم التالي معنونة باستقالة حكومة عبد الهادي ، عيدية الملك للشعب صباح العيد ، وكلف حسين باشا سري بتأليف وزارة ائتلافية لإجراء الانتخابات وشكلت الوزارة بإشراف 4 وزراء من كل حزب وشارك الوفد لأول مرة في الوزارة منذ وزارة 1927 الائتلافية وتشكلت الوزارة في 3 نوفمبر 1949.

وخلال فترة وزارة سري قام جمال عبد الناصر بتكوين اللجنة التأسيسية للتنظيم المكونة من جمال عبد الناصر ، خالد محي الدين ، حسن إبراهيم ، كمال الدين حسين ، عبد المنعم عبد الرءوف وهم جميعاً أصحاب ميول سياسية مختلفة بالرغم من بدايتهم مع الإخوان المسلمين عدا خالد محي الدين الذي ترك الإخوان وأنضم إلي الشيوعيين كما أنه لم يكتمل التنظيم إلا في 1950 عندما أنضم إلي أعضاء اللجنة صلاح سالم وعبد اللطيف البغدادي وعبد الحكيم

عامر وأنور السادات وفي إحدى اجتماعات اللجنة التأسيسية في منزل صلاح سالم دخل عليهم فجأة شقيقه الطيار جمال سالم وحضر معهم اللقاء ومن ثم انضم إليهم جمال وقيل عنه أنه هبط علي التنظيم براشوت وكان جمال سالم له علاقة سابقة مع عبد اللطيف البغدادي ولكنه لم يكن عضواً في تنظيم الطيارين.

كان التنظيم قد بدأ شكلاً منفصلاً عن القوة السياسية خارج الجيش أي أنه لم يكن تنظيماً تابعاً لأي من الحركات الشعبية الأخري وكان الاتفاق بين أعضاءه أن من ينضم إليهم يكون ولائه للتنظيم ولا يعمل لدي تنظيمات أخري أو حتي التي كان منتمياً إليها من قبل ولكن كان بعض أعضاء التنظيم لم يقطعوا صلاتهم التنظيمية القديمة فكان كمال الدين حسين علي صلة طيبة غير تنظيمية بالإخوان وكذلك خالد محي الدين علي صلة بحدتو وأنور السادات علي صلة ببعض رجال القصر وبالتحديد يوسف رشاد وكان جمال عبد الناصر كان واسع الاتصال بمختلف القوي السياسية والذي أنتخب رئيساً للجنة التأسيسية للضباط الأحرار.

كان جمال وعبد الحكيم تجمعهما صداقة قوية منذ التحاقهما بالكلية الحربية والخدمة معاً في أكثر من مكان (منقباد بأسيوط – جبل الأولياء بالسودان) وكانت صداقتهما حميمة حيث كان يثق كل منهما في الأخر ولا يقوم أحد منهما بخطوة إلا كان الآخر يعرفها وسكنا في شقة واحدة في فترة العزوبية وقد حدثت بينهما

23 يوليو

مواقف تدل علي الصلة الحميمة بينهما فعندما كان الاثنان يتنزهان في وسط البلد ومعهما صديق آخر دخلوا مكتبة وأخذوا يتصفحون محتويات الكتب بداخلها ، استوقف جمال عبد الناصر كتاب، هم بشراءه، فوجد ما معه من مال لا يكفي لشراء الكتاب، فنظر عبد الحكيم إلي جمال ورآه مهتم به، فخرج إلي المكتبة مسرعاً وعاد بعد قليل ودفع ثمن الكتاب وعندما سأله عبد الناصر، من أين أتي بهذا المال، عرف أنه باع طربوشه وعاد بثمنه.. وكان هذا الموقف من مواقف متعددة حدثت بينهما تدل علي أنهما كان شخصان قريبين من بعضهما.

وفي أحد الأيام جاء عبد الحكيم عامر إلي ناصر مبشراً بأنه وجد له كنزاً ثميناً وأنه وجد الرجل المناسب لينضم إليهم في التنظيم وكان هذا الكنز هو (محمد نجيب) ، رحب عبد الناصر بالفكرة فقد كان التقي بنجيب أثناء حرب فلسطين وسمع عنه الكثير وعن مواقفه ، بعد عودة نجيب من الحرب كان يعالج من عدة إصابات وأثناء تواجده في المستشفي زاره عبد الحكيم عامر الذي كان مساعدا له من قبل ومعه جمال عبد الناصر وتحدثوا في أحوال الجيش والبلاد وتوصلوا أن خلاص مصر يتوقف علي الضباط الصغار وذلك لأن الضباط الصغار باستثناء البعض منهم كانت تنقصهم قوة العزيمة ولم يمض وقت طويل حتي أخذا يزوران نجيب في بيته لمشاركته في أعمال التنظيم وبعد عدة مقابلات اتفقوا علي المبادئ الأساسية ووافق

نجيب علي الانضمام للضباط الأحرار.

كان جمال عبد الناصر يري أن الحركة الناجحة لا يمكن تنفيذها بواسطة مجموعة من الضباط الصغار ولابد أن يتزعمهم ضابط كبير ذو مؤهلات خاصة فعرض علي الفريق عزيز المصري ولكنه رفض ورشح لهم الاختيار بين اللواء صادق أو محمد نجيب ومع تزكية عامر لنجيب وقع الاختيار علي نجيب الذي كان معروفا لدي الجيش وكانت سمعته فوق أن تعاب وكانت شخصيته من النوع الذي يستجيب لها الشعب بعد أن سمعوا عن مواقفه في حرب فلسطين ومواقفه السابق[2] .

في 3 يناير 1950 أجريت انتخابات برلمانية نجح الوفد أن يحصل خلالها علي 228 مقعدا من مجموع المقاعد البالغ عددها 319 وشكل النحاس الوزارة من جديد ولكن هذه المرة بسياسة جديدة قام بإعدادها فؤاد سراج الدين الذي اتصل برجال القصر وعملوا علي تحديث سياسة الوفد مع الملك ليضمن بقائه بالسلطة أكبر فتره ممكنه ولا يتعرض للإقالة كما كان يحدث في المرات السابقة وأثناء حلف الوزارة لليمين أمام الملك طلب من النحاس باشا أن يجلس حتي يتناقشوا في الأمور التي تعالجها الوزارة فرفض الجلوس إلا بعد أن يحقق له طلبه ، أيقن الملك أن النحاس سيتقدم بمطالب شعبية ويبدأ الصدام ولكنه فوجئ بطلب النحاس أن يقبل يده ، وكانت سياسة المهادنة بداية النهاية لحزب الوفد الذي عم الفساد في أوساطه

23 يوليو

وظهر حلف فؤاد باشا سراج الدين وزوجة النحاس باشا زينب الوكيل وعلي أثر هذا الاتفاق تم إبعاد رجال الحزب القدامي الملتفين حول النحاس باشا وإبدالهم بأشخاص آخرين ساعدوا سراج باشا في بسط سيطرته علي الحزب كذلك قام بتلاعب في بورصة القطن ربحًا من ورائه أموالاً طائلة وظهر الفساد في الحزب الذي بدأ شعبيا وأنتهي إقطاعيا.

وكان مكرم عبيد السكرتير السابق للوفد قبل بزوغ نجم فؤاد سراج الدين قد طبع كتابا معنونا بالكتاب الأسود كتب فيه عن الفساد الذي طفي علي السطح وأصبحت رائحته تزكم الأنوف ونوقش الكتاب في البرلمان وكانت جلسة عاصفة ، لم يكن الفساد ظاهرا في الوفد بل زاد الفساد واتسع في القصر بعد ثبوت تورط رجال الملك وبعض حاشيته في قضية الأسلحة الفاسدة التي استخدمت في حرب فلسطين والتي أثارها الصحفي إحسان عبد القدوس في سلسلة مقالاته في مجلة روز اليوسف وتناول الضباط الأحرار هذه القضية وهاجموها في منشوراهم حتي نجحوا في إرغام النحاس باشا علي إجراء تحقيق في وزارة الحربية والذي انتهي بإدانة ثلاثة عشر شخصاً من بينهم عباس حليم إبن عم الملك والذي وجهت إليه قمم كثيرة بينها حصوله علي 400 ألف دولار نظير شراء أسلحة لمصر أثناء فترة الحظر التي فرضتها الأمم المتحدة ووصل التحقيق أيضا إلي أنطونيو بوللي مستشار الملك الخاص الذي

كان يعمل كهربائيا في القصر وصعد إلي هذا المنصب وبعد أن وصل التحقيق إلي القصر أمر المدعي العام بوقف التحقيق حتي لا توجه إليه تهمة العيب في الذات الملكية*.

إلغاء المعاهدة :

أعلن النحاس فى خطاب العرش بعد توليه الحكومة ، عن التزام حزب الوفد بإلغاء معاهدة 1936 التى كانت قائمة وارتبط بهذا التعهد أمام الشعب والبرلمان وحاول عن طريق المفاوضات مع انجلترا أن يحقق ما عاهد به الشعب ولكن فشل فى ذلك ولما زاد عليه الشعب خطى النحاس تلك الخطوة الكبرى فى الثامن من أكتوبر 1951 حين اجتمع البرلمان بمجلسيه النواب والشيوخ وألقى النحاس بيانا عن سياسة الحكومة نحو المعاهدة أعلن فيها عن قطع المفاوضات السياسية بين مصر وبريطانيا وأعلن أن (من أجل مصر وقعت المعاهدة، ومن أجل مصر أطالبكم بإلغاء معاهدة 1936 واتفاقى 19 يناير و10 يناير 1899 والخاصة بالسودان) وقدم للبرلمان مراسيم يقضى بإلغاء المعاهدة وإلغاء المميزات التى كانت تتمتع بها القوات البريطانية ومرسوم بتعديل الدستور وجعل لقب الملك ملك مصر والسودان .

قابل أعضاء البرلمان الخطاب بالتأييد ووقف أعضاء المعارضة فى كلا المجلسين وأعلنوا تأييدهم للحكومة فى موقفها وأقر البرلمان المراسيم بالإجماع .

23 يوليو

استقبل الشعب قرار الإلغاء بالتأييد الجارف وأبدى استعداده للبذل والتضحية شأنه فى الأوقات العصيبة واستعدت الأمة بمختلف هيئاتها بالكفاح وتجاوبت بالحكومة فى محاربة الإنجليز فى القنال ، وتجلت فى الشعب الروح الوطنية الثائرة التى ظهرت فى ثورة 1919 وكانت كلمات النحاس باشا التى أعادت شعبيته أقوى مما كانت وزعامته تزداد بريقاً ، كانت كلماته سواء فى البرلمان أو فى سفراته بمثابة إعلان الجهاد واعتبار القوات البريطانية فى القنال قوات محتلة وغاصبة .

أخذ المواطنون يعدون العدة لكفاح الإنجليز ، وكان فى الحق كفاحا مجيدا ... كفاح شعب أعزل أمام قوات غاصبة مسلحة بأحدث معدات الفتك والقتال ، وظهرت بطولات الفدائيين فى مهاجمة المعسكرات والمنشآت البريطانية مما تردد صداه فى صحف العالم كان من أقوى الدعاية لمصر ضد الاحتلال .

استعدت بريطانيا لمواجهة هذا الكفاح فبادرت بإرسال قوات حربية جديدة إلى المنطقة لتعزيز قواتها المرابطة هناك ، وقوامها ثلاث آلاف من الجنود والضباط ، وما إن علم عمال السكك الحديدية بوصول الجنود حتى امتنعوا عن معاونتهم ورفضهم العمل فى تلك القطارات كذلك أضرب العمال المصريون فى المعسكرات البريطانية عن العمل فيها وانسحبوا جميعا منها ، وضحوا بمرتباتهم استجابة لنداء الحكومة بعدم التعاون مع المحتل ، ومن جهة أخرى قابلت الحكومة إضراب العمال البالغ عددهم أكثر من 60 ألف بإلحاقهم

بالمصالح الحكومية المختلفة ، وصرفت لهم الأجور منذ انقطاعهم وأعلنت أنه لن يبقى عامل منهم بغير عمل ، وتحملت الدولة فى ذلك العام 6 ملايين جنيه لأداء أجور العمال .

عزل منطقة القنال

كانت خطة الإنجليز التى أعدت لمواجهة الفدائيين أن يستولوا على جميع الأماكن الهامة فى المدن وعزلها عن القطر المصري وإقامة حكم عسكري فى أنحاءها ومقاومة كل حركة فيها بالتنكيل وتجاهل السلطات المصرية وقامت الدوريات المسلحة تجوب شوارع بورسعيد والإسماعيلية والسويس ، مستفزة مشاعر المصريين .

تطوع الكثير من الشباب فى المعارك وكونت كتائب من الطلبة والعمل والأخوان المسلمين والمنظمات الشيوعية والأفراد العاديين ممن ليس لهم أي انتماءات حزبية ، وسميت بالفدائيين أو كتائب التحرير ، وكانت تدرب فى القاهرة على حرب العصابات ، وتطوع بعض القادة وضباط الجيش ومنهم الضباط الأحرار فى تدريبهم ، ومن هؤلاء الضباط القدماء الفريق عزيزي المصري واللواء صالح حرب باشا ، وأخذ المواطنون بالتبرع بتزويدهم بالأسلحة وبث روح المقاومة فى نفوسهم التى كانت لها عمل إيجابي فى حركة الكفاح ومن الكتائب التى كانت لها أثر قوى فى الحرب كتيبة الشهيد أحمد عبد العزيز ، وكتيبة خالد ابن الوليد ، وكتيبة محمد فريد التى ألحقت بالعدو خسائر موجعة أدت إلى جنونه مما ازداد من تعسفه

والتنكيل لكل من يشتبه فيه من الفدائيين . وازدادت المعارك اشتعالا والأمة ثورة وعادت روح الحركة الوطنية تظهر من جديد فى طريقها إلى الاستقلال .

فى 11 ديسمبر 1951 أجتمع مجلس الوزراء وتباحث فى الموقف وأصدر قرارات انعكست من اشتداد الأزمة بين مصر وبريطانيا ، وأهمها استدعاء السفير المصري فى لندن عبد الفتاح باشا عمرو ، احتجاجا على تصرفات السلطات البريطانية والاستغناء عن الموظفين الإنجليز فى المصالح الحكومية والاستيلاء على الأرض المقام عليها نادى الجزيرة للمنفعة العامة والذي كان يرأسه السفير البريطاني ، واستصدار تشريع بمعاقبة كل مصري يتعاون مع السلطات الأجنبية .

زوال الهيبة الملكية *

مع توالى الأحداث وخروج المظاهرات فى المدن تندد بجرائم الإنجليز بدأت المظاهرات العدائية ضد الملك ، تتجمع وتسير فى الشوارع منذ 25 ديسمبر 1951 ، وأخذت الهتافات العدائية تسمع لأول مرة فى الجامعات والشوارع ، هتف بسقوط الملك والعرش . كانت هذه المظاهرات ظاهرة جديدة لم يسبق لها مثيل فى الحياة السياسية ، وجاءت نذيرا بما سيئول إليه مصير الملك والملكية .

---

* من كتاب مقدمات ثورة يوليو للكاتب والمؤلف عبد الرحمن الرافعي .

ولقد بدا الفرق جليا بين تعاطف الشعب مع الملك فى حادث فبراير 1942 وسخطه الذي عبر عنه فى ديسمبر 1951 ولا غرابة فى هذا التحول ، بعد أن عرف الشعب تدريجيا خلال هذه السنوات مساوئ الملك ومفاسده هو وأسرته وسهراته فى النوادي الليلية وعلى موائد القمار وسفر أمه الملكة نازلي إلى أمريكا وزواج أخته الأميرة فتحية من الشاب المسيحي رياض غالى ، وتناقلت أخبار مغامراتها هناك **

استفحلت مساوئ فاروق وذاعت تصرفاته المنافية للنزاهة والاستقامة وتصرفات رجال حاشيته الذين كانوا يعملون بوحي منه ، وقد هال أقطاب المعارضة وقتئذ أن تنحدر أداة الحكم إلى هذا الحضيض فاجتمعوا ينددون بهذا الفساد ، مطالبين الملك أن يضع حداً ويطهر حاشيته ممن استغلوا مناصبهم ويعود إلى الوضع السليم فى البلاد وأشاروا إلى أن الشعب قد صبر طويلاً على هذه المساوئ وأن هذا الصبر لابد أن يكون له حد ينتهي ، ومنعت الوزارة منعت هذه العريضة بالصحف ، وصادرت الصحف التى نشرتها ، وغضب الملك على موقعي هذه العريضة وظل ناقماً عليهم إلى أن نزل عن العرش .

وقبل كتابة هذه العريضة بعام كتب الصحفي محمد التابعي ، إلى كان من كبار الصحفيين فى ذلك الوقت ومؤسس مجلة أخر ساعة ،

** لم يكن للملكة نازلي علاقات غير شرعية كما ادعى البعض ، ولكنها نـزوات خرجت عن نطاق التقاليد المصرية والأعراف الملكية .

كتب مقالا بعنوان (يحيا الظلم) أشار فيه إلى الملك فاروق منددا به دون ذكر أسمه . كتب في11 أكتوبر1950 يسخر من الظلم بعنوان نعم يحيا الظلم جاء فيه:

يحيا ظلم كل جبار عاتية معتز بسلطانه وسطوته يدوس القوانين ولا يبالي.. نعم يحيا الظلم لأنه خير مرب للنفوس.. ونفوس المصريين تجيش اليوم بمعني واحد.. لقد صبرنا طويلا ولن نصبر بعد اليوم.. وتحملنا كثيرا ولن نتحمل بعد اليوم .

قرأ الملك المقال وأشار بقلمه على هذا الجزء متسائلاً لمن حوله بقصد من التابعي بهذا فصمت الجميع ولم يتحدثوا بشئ فضحك الملك لأنه علم بان التابعي يقصده هو .

الانهيار

في السادس من يناير 1952 جاءت انتخابات نادي الضباط رأي فيها الضباط الأحرار أن يختبروا قوتهم وشعبيتهم بين ضباط الجيش فقاموا بتكوين جبهة برئاسة اللواء محمد نجيب عرفوا باسم الضباط المناوئين للفساد ونتجت الانتخابات التي أدهشت الجميع فوز القائمة المدعومة من الضباط الأحرار برئاسة محمد نجيب وتضم حسن إبراهيم وذكريا محي الدين وجلال ندا ورشاد مهنا وجمال حماد ونالوا ثقة ضباط الجيش ومن هذه الانتخابات وجد الضباط الأحرار أن قوتهم في الجيش ليس لها بديل وأنهم نجحوا في إزالة مرشحي الملك منهم سري عامر رجل الملك الذي كان سمعته معروفة بين

رجال الجيش في تهريب المخدرات والذي لم يتورع عن ممارسة أي عمل يعود عليه بالفائدة والذي كان يعده الملك خلفا لحيدر باشا قائدا عاما للجيش.

أعلن الملك في ثورة من الغضب بطلان الانتخابات وما لبث أن سحب اعتمادا كان قد رصده لبناء مقر جديد للنادي وتطورت الأحداث حتى بلغت ذروتها في 26 يناير 1952 .

مذبحة الإسماعيلية

قبل يومين من هذا التاريخ استسلم 160 رجلاً من بلوكات النظام وهم احتياطي البوليس للجيش البريطاني في فايد وقد أعلن فؤاد سراج الدين وزير الداخلية في حديث له في الراديو من القاهرة أن علي رجال البوليس أن يحاربوا حتي الرصاصة الأخيرة ومن لا يفعل ذلك سيحاكم محاكمة عسكرية وفي اليوم التالي حاصر 1500 جندي بريطاني تسندهم الدبابات والمصفحات مبني محافظة الإسماعيلية وحاصروا فيها 250 من الجنود المصريين وأنذروا قائدهم اليوزباشي مصطفي رفعت بأن يستسلم في 15 دقيقة أو أن يتحمل النتائج ؟. اتصل مصطفي رفعت بفؤاد سراج الدين طالبا التعليمات فأبلغه سراج الدين بأن يحارب لأخر طلقة وحارب رفعت حتي الطلقة الأخيرة فكان تسليح قوات البوليس لا يتعدي البنادق العادية وقامت القوات البريطانية بإطلاق نيران المدافع والدبابات رغم عدم تكافؤ القوتين وقاوم رجال البوليس بشجاعة حتي نفذت أسلحتهم

واستسلموا للأمر الواقع بعد أن سقط منهم خمسون شهيدا وما يزيد عن سبعين جريحا أحني قائد القوة البريطانية رأسه احتراما لهم وقال لقائدهم بعد الاستسلام أن رجال القوات المصرية دافعوا بشرف واستسلموا بشرف وحق علينا احترامهم ضباطا وجنودا .

حريق القاهرة



فى 26 يناير 1952 وقع حادث مشئوم فى تاريخ مصر تحت سمع الحكومة وإهمالها وتهاونها وهو حريق القاهرة ، فى ذلك اليوم

أعد القصر مأدبة غذاء ملكية أقامها الملك دعا إليها الجيش احتفالا بميلاد ولي العهد أحمد فؤاد وفي صباح يوم الاحتفال 26 يناير 1951 بدأت الدهماء تتجمع في مختلف أنحاء القاهرة وكأنما تحركها خطة منظمة وما لبث أن هاجمت كثيرا من المؤسسات الأجنبية والفنادق والمطاعم ودور السينما والمتاجر والنوادي الليلية ومدرسة يهودية ومكتب الإخوان المسلمين وبنوك وصالات عرض للسيارات ومكاتب الطيران وتحولت القاهرة إلي كتلة من النيران وأعلنت الأحكام العرفية وأنزل الجيش إلي القاهرة ولكن بعد فوات الأوان وأستطاع الجيش أن يفلح في إخماد الحرائق وتشتيت المتظاهرين وهناك من يعتقد أنها مؤامرة بريطانية ومن يعتقد أنها مؤامرة وفدية وهناك من يعتقد أنها من صنع القصر واتهم سراج الدين بأنه خدع الملك حينما أكد له أن رجال البوليس سيطروا علي زمام الموقف وأقيل الوفد من الوزارة وعين علي ماهر خلفا للنحاس ولكن ما لبث أن أقيل قبل أن يتم شهرا في الحكم لتردده في تعطيل البرلمان الوفدي لمحاكمة زعمائه وخلفه في الحكم نجيب الهلالي الذي طرد من الوفد عام 1951 لمناهضة الأساليب الفاسدة لزعماء الوفد. حل الهلالي البرلمان وأعاد التحقيقات في قضايا الأسلحة.

وفي ذات الوقت اتهم اللواء سري عامر بمؤامرة تتصل بتهريب زيت الديزل والمعادن الخردة والذخائر إلي اليهود وأذن لهم بالإقامة في غزة ولم يقتصر سري عامر علي سرقة أموال الحكومة بل تاجر

مع العدو وارتكب بذلك جريمة تعادل الخيانة.

قرر الضباط الأحرار أن وقت العمل قد أزف وبدأ صلاح سالم المشرف علي الدعاية السرية في توزيع منشورات تطالب بإقامة الدعوي ضد سري عامر وعندما لم يحدث شئ في ذلك بدأ يوزع منشورات تؤيد تعيين محمد نجيب وزيرا للحربية.

الذي رشحه الهلالي لهذا المنصب أملا أن يحقق تعيين نجيب إلي إصلاح العلاقة بين السراي ونادي الضباط الذي كان نجيب يرأسه في تحد للملك. رفض الملك تعيين نجيب وطلب من الهلالي تعيين سري عامر وزيرا للحربية ولكن الهلالي رفض تعيين سري عامر لسوء سلوكه ولسمعته المشينة داخل الجيش. ما أن علم الضباط الأحرار بطلب الملك حتي ثارت ثائرتهم وطفح بهم الكيل مما جعل جمال عبد الناصر ومعه حسن إبراهيم والتهامي يقوما بمحاولة اغتيال سري عامر أثناء دخوله منزله ولكنه نجي من محاولة الاغتيال وأصيب سائقه ولحسن الحظ لم يكتشف أمر جمال عبد الناصر ومن معه في عملية الاغتيال ولكن جمال عبد الناصر عندما أنهي العملية ، ذهب إلي البيت متمنيا أن ينجوا سري من الاغتيال ولم ينم طيلة الليل وعند الصباح تصفح الصحف ليقرأ نجاة سري عامر من الاغتيال فدبت الراحة في نفس عبد الناصر الذي رأي أن ينبذ فكرة الاغتيالات السياسية وقد اختلف باقي أعضاء اللجنة التأسيسية مع جمال عبد الناصر لأنه قام بالعملية دون مشورتهم.

بعد شروع الهلالي في محاكمة الفاسدين قام أحمد عبود باشا من كبار رجال الأعمال ومن كبار الاقتصاديين بتقديم رشوة إلي أحد حاشية الملك لإقالة الوزارة لوجود خلاف بينه وبين الهلالي ناتج عن وجود متأخرات للضرائب من عبود باشا وأعدت العدة لإقالة الوزارة وقلب الهلالي الطاولة على رجال القصر فقدم استقالته.كلف حسين سري باشا بتكليف الوزارة الذي أراد تعيين محمد نجيب وزيرا للحربية أيضا ولما رفض الملك الموافقة علي هذا احتفظ سري لنفسه للمنصب أملا في منع الملك لإعطائه إلي سري عامر فقد كان يعلم أن مثل هذا التعيين سوف يؤدي إلي ثورة في الجيش كان الملك يأمل في منعها.

في 15 يوليه حل حيدر باشا مجلس إدارة نادي الضباط الذي كان يرأسه محمد نجيب دون أن يستشير سري باشا ولما لامه سري علي مخالفة تعليماته اعتذر حيدر وبرر موقفه بأن الطرد كان ينتظره إذا فشل في تنفيذ تعليمات الملك.

أرسل سري باشا زوج أبنته ووزير الداخلية محمد هاشم لمقابلة محمد نجيب ويبلغه بأن لا يفعل شيئا حتي يبذل سعيه نهائيا للحصول علي موافقة الملك بتعيين نجيب وزيرا للحربية وحافظ سري علي وعده وأبلغ الملك عن طريق رئيس ديوان حافظ عفيفي أنه سيضطر لتعيين نجيب وزيرا للحربية بكافة السلطات اللازمة لتطهير القوات المسلحة ، تلقي عفيفي باشا ردا علي صورة مذكرة كتبها محمد

حسن السليماني الخادم الخاص للملك كتب فيها افصل نجيب وعين حيدر وزيرا للحربية.

أبلغ حيدر باشا رئيس الوزراء المكلف سري باشا بأن الملك قد قرر أن يعين حسين فريد قائدا عاما وسري عامر رئيسا لهيئة الأركان إلا أن سري باشا رفض تعيين سري عامر وقدم استقالته لتعنت الملك في تعيين نجيب وسري عامر. اجتمع نجيب في مترله مع عدد من أعضاء اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار منهم جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وحسين إبراهيم وكمال الدين حسين واتفقوا جميعا أن مصر نضجت للثورة.

الانقلاب

كان كل من له شأن يذكر في السياسة المصرية إما في الخارج وفي الإسكندرية حيث يقيم الملك مقره الصيفي بقصر المنتزة في اجتماعات متواصلة لمناقشة أمور البلاد وكيفية الخروج من تلك الأزمة التي كادت أن تعصف بها وكان الضباط الأحرار يعدون ويفكرون في الوقت المثالي للقيام بضربتهم التي كانت محددة في الخامس من أغسطس .

إلا أن أنباء وصلت إلي أسماعهم أن قيادة الجيش عرفت أسماء بعض ضباط التنظيم وأن هناك قائمة تعد لاعتقالهم، في ذلك الوقت طلب الملك فاروق من حافظ عفيفي بتشكيل الوزارة وفي 20 من

يوليو شكل نجيب باشا الهلالي الوزارة وعين إسماعيل شيرين باشا رجل الملك وزوج أخته وزارة الحربية الذي عرف بعض أسماء الضباط الأحرار. زار جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر اللواء نجيب في بيته وكان معه في ذلك الوقت الضابط جلال ندا عضو نادي الضباط والصحفي محمد حسنين هيكل وانفرد نجيب بجمال وعامر وطلب منهما أن يتعجلوا في القيام بالحركة لان الوقت أصبح ضدهم ومن الممكن أن يتم اعتقالهم في أي وقت ومعهم نجيب.



حسين الشافعي

وكان حسين الشافعي يتناول الغذاء مع وجيه أباظة في مترله وجاءهم أحمد أبو الفتح من جريدة المصري وأحد مؤسسيها وأخبرهم بأن هناك عمليه لاعتقال 13 ضابطا من الجيش وتشريدهم هرع الشافعي وأباظة لإخبار جمال عبد الناصر بما حدث الذي رأي أنه من الضروري القيام بالعملية في أسرع وقت واتصل بباقي رجال التنظيم واجتمعوا في مترل عبد الحكيم عامر وأعد زكريا محي الدين الخطة وكلف الضباط بأداء واجبهم في ليلة 23 يوليو.

23 يوليو

كانت الخطة معدة بأن يقوم البغدادي بالسيطرة علي القاعدة الجوية بألماظة ويبدأ حسن إبراهيم بإصدار تعليمات للطيارين فيما يتعلق بالدور الذي سيلعبونه صباحا وحسين الشافعي وخالد محي الدين يسيطران علي سلاح الفرسان وعبد المنعم أمين علي المدفعية ويوسف صديق وكمال الدين حسين علي المشاة وحددت ساعة الصفر وكلمة السر (نصر)

أثناء استعداد يوسف صديق بقواته لساعة الصفر وكان ينزف دمًا أثناء أداء مهامه لمرض يعانيه فى صدره ، جاءته أخبار بأن قيادات الجيش يجتمعون بالقيادة العامة فبكر يوسف صديق بتحريكه واتجه إلي القيادة العامة لاغتنام الفرصة واعتقال هذا الصيد الثمين وفي أثناء اتجاهه قابل أحد القادة في طريقه وأوقفه اللواء مستفسرا منه عن تحرك هذه القوة فقام صديق باعتقاله داخل سيارته التي تحمل علم اللواء وضمه إلي قوته لحين الوصول إلي القيادة قابل عبد الحكيم عامر وعبد الناصر قوة يوسف صديق وبينها سيارة اللواء ، فاقترب عبد الحكيم ليعرف من الذي يقود هذه القوة فقام الجنود باعتقالهما وعندما وجدهما يوسف صديق أمر الجنود بإطلاق سراحهم وأخبرهم بأنه متجه إلي القيادة لاعتقال المؤتمرين فيها. قام خالد محي الدين بسد المنافذ التي تصل إلي القيادة العامة وكان يأمر بكل من يراه من الضباط الكبار بالعودة إلي بيوتهم واعتقالهم فكان يستجيب له البعض ويعود إلي من حيث أتي والبعض الأخر يرفض

العودة فلا يجد خالد من سبيل سوي اعتقاله وفي أثناء أداء مهمته صرخ فيه ضابط كبير مطالبا بأن يفتح الطريق لان هناك انقلاب للجيش فرد عليه خالد محي الدين آسف يا فندم إحنا اللي بنقوم بالانقلاب وأرجوك عد إلي بيتك وإلا اضطررت لاعتقالك، واستجاب الضابط لطلبه.

يوسف صديق

وفي ذلك الوقت كان الأخوين صلاح وجمال سالم في العريش ليقوما بمهمتهما والسيطرة علي القوات المعسكرة هناك وبحثا جمال وعبد الحكيم عن أنور السادات فلم يجداه إذ كان هو وزوجته في إحدى دور السينما لمشاهدة فيلم وعند عودته إلي بيته وجد حارس البيت معه بطاقة تعارف موقعة من جمال عبد الناصر يخبره بأن المشروع يبدأ الليلة.

وصل يوسف صديق إلي مقر القيادة وقام باقتحامه بعد إطلاق الرصاص على أحد جنود الحراسة واستطاع في وقت وجيز أن يعتقل من بداخلها من قيادات الجيش ورئيس هيئة الأركان حسن فريد والسيطرة تماما علي القيادة وكان ليوسف صديق دوراً بارزاً فى نجاح الحركة والذي كان فارسها .

أثناء قيام الضباط بتنفيذ خطتهم كان اللواء محمد نجيب في بيته

ينتظر ما سوف تسفر عنه الحركة واتصل به مرتضي باشا المراغي وزير الداخلية يطلب منه بأن يفعل شيئا كرجل عسكري ووطني لإيقاف الحركة ووضع حدا لهذا الأمر فتصنع نجيب الجهل بما يدور فقال المراغي أنت تعلم ما أعنيه لقد بدأ أولادك بالتحرك في كوبري القبة وقد يتدخل البريطانيون إذا لم تضع حدا لها وأن رئيس الوزراء سيتصل به بعد انتهاء مكالمته وكذلك اتصل فريد زغلول وزير الدعاية في حكومة الهلالي يطلب منه بأن يوقف الانقلاب في الوقت ذاته كانت فصائل القوة التابعة لذكريا محي الدين قد أكملت اعتقالها وألقت القبض علي اللواء فريد علي واللواء أحمد طلعت رئيس البوليس واللواء عبد المنصف وكيل وزارة الداخلية واللواء محمد إمام رئيس البوليس السياسي.

والأميرالاي حسن حشمت قائد المدرعة الذي صدر إليه الاوامر باكتشاف ما يدور فوقع في أيدي الضباط وهو يحاول ذلك إذا اعتقل مع بعض مرؤسيه بعد أن وصلوا إلي الثكنات الرئيسية في العباسية أما الآخرون فقد اعتقلوا إما في القيادة أو في بيوتهم.

أسرع السادات إلي مبني القيادة للقيام بمهمته فمنع من الجنود المحيطين بالقيادة لعدم معرفته بكلمة السر فلما سمع صوت عبد الحكيم عامر وهو يصدر التعليمات للجنود نادي عليه السادات فأمر حكيم الجنود بترك السادات ودخوله إلي القيادة كان نجيب يعيش لحظات القلق منتظرا أن يحدثه الضباط بعد إتمام المهمة وأثناء

انتظاره دق جرس التليفون وكان صوت جمال حماد يخبره بأن المرحلة الأولي من المهمة قد تمت بنجاح أسرع نجيب بركوب سيارته واتخذ طريقه مسرعاً إلي القيادة وكان يري قواتهم في الشوارع المحيطة بالمعسكرات وقيادة الجيش وقابلة في الطريق طابور من المدرعات ونقل من سيارته إلي السيارة الجيب المرافقة للطابور ووصل نجيب إلي القيادة ليجد أن الأمور في يد الضباط الأحرار، في القيادة اتصل رئيس الوزراء نجيب الهلالي بمحمد نجيب طالبا منه بأن يخبره ماذا يريد الضباط فأخبره محمد نجيب بأن الضباط الأحرار استولوا علي السلطة ليتمكنوا من مساعدة الحكومة المصرية في تنفيذ ما وعدت به من تطهير البلاد وأنه لا يحق لأحد أن يترعج من هذا الأمر إلا الفاسدين وسأله الهلالي عما نتوي فعله فرد عليه نجيب بأنه لا يستطيع أن يجد ذلك ووعده بأنه سيطلعه علي خططهم خلال تطورهم.

بعد اتصال الهلالي اتصل حيدر باشا باللواء محمد نجيب يخبره بأن عفوا سيصدر عنهم إذا وقف الانقلاب وأن الملك يوافق علي تعيينه وزيرا للحربية فكان رد نجيب أنه سيبحث الأمر مع الضباط.

كلف الضباط الأحرار الطيار علي صبري للاتصال بالسفارة الأمريكية لمعرفته السابقة بالملحق الجوي للسفارة الأمريكية ليخبر السفير الأمريكي بالانقلاب بأنه أمر داخلي محض ولا يؤثر إلا علي المصريين وأن الأرواح والممتلكات الأجنبية ستحترم وطلب صبري

من الملحق الأمريكي بأن يخبر السفارة البريطانية بأنه والبريطانيون سيعاملون تماما كما يعامل الأجانب الآخرون إذا لم يتدخلوا وطلب صبري من أن يحذر السفير البريطاني بأنه إذا تدخل البريطانيون فعليهم أن يتحملوا مسئولية الدمار التي قد تحدث وقد حرص صبري ألا يذكر شيئا من خطة خلع الملك.

أتمت القوات مهامها في القاهرة واجتمعت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار الذي تحول اسمه إلى مجلس قيادة الثورة وتقرر ضم كل من زكريا محي الدين ويوسف صديق وحسين الشافعي وعبد المنعم أمين إلي مجلس القيادة لدورهم البارز في إنجاح الخطة ، كتب الصاغ جمال حماد البيان ووقع عليه محمد نجيب باسم القائد العام للقوات المسلحة وكان مقدراً لجمال حماد أن يتلو البيان فى الإذاعة إلى أن موقفاً حدث فى إحدى مواقع الجيش فأرسل إليه للسيطرة عليه ، وفي الصباح توجه أنور السادات إلي مبني الإذاعة لقراءة البيان بالنيابة عن محمد نجيب.


جمال حماد

بيان الثورة

(بني وطني.. اجتازت مصر فترة عصيبة من الفساد والرشوة وعدم استقرار الحكم وقد كان لكل هذه العوامل تأثيرا كبيرا علي الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين أما

فترة ما بعد الحرب فقد تظافرت عوامل الفساد وتآمر الخونة علي الجيش وتولي أمره إما جاهل أو فاسد حتي تصبح مصر بلا جيش يحميها وعلي ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولي أمرنا داخل الجيش رجال نثق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقي هذا الخبر بالابتهاج والترحيب أما من رأينا اعتقالهم من ضباط فلن يمسهم سوء وسيطلق سراحهم في الوقت المناسب وليعلم الشعب المصري أن الجيش يعمل في صالح الوطن في ظل الدستور مجرداً من أي غاية وانتهز الفرصة فاطلب من الشعب أن لا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس من صالح مصر و أن أي عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقي فاعله جزاء الخائن في الحال وسيقوم الجيش بواجبة هذا متعاوناً مع البوليس واني اطمئن إخواننا الأجانب علي مصالحهم وأراوحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولاً عنهم والله ولي التوفيق. القائد العام للقوات المسلحة اللواء محمد نجيب. ومنذ بزوغ الفجر قامت الطائرات النفاثة والقاذفات تحلق في سماء القاهرة والإسكندرية واحتلت الدبابات والعربات المصفحة ميادين القاهرة الرئيسية للقضاء علي أية مقاومة ولكن لم تنشب أي مقاومة فلم يكن هناك غير الترحيب العام – فوض مجلس قيادة الثورة أنور السادات لمقابلة علي ماهر ويطلب منه أن يخلف الهلالي رئيساً للوزارة إذا رضي أن يكون مرشح الضباط الأحرار وكلف ضباط

آخرين بالاتصال بسياسيين آخرين أملا في العثور علي بديل في حالة رفض علي ماهر الاختلاط بالحركة العسكرية. وافق علي ماهر علي الترشيح شريطة أن يكون التكليف ملكياً وفي نفس الوقت عرض الهلالي علي قيادة الحركة أن يؤيدها ويعين نجيب قائداً عاماً مقابل أن يعطي الضباط ولائهم للملك. عاد السادات إلي مجلس قيادة الثورة ومعه موافقة علي ماهر وارتاح الضباط لموافقته وفي صباح اليوم التالي خرجت الصحف اليومية وعلي صدرها الجيش يقوم بحركة عسكرية سلمية – استقالة وزارة نجيب الهلالي وتشكيل وزارة علي ماهر باشا وتعيين الفريق محمد نجيب قائداً أعلى للجيش.



الأهرام

الجيش يقوم بحركة عسكرية سلمية

تقال عدد من كبار الضباط وحماية المرافق العامة

اللواء محمد نجيب بك يتولى القيادة العامة للقوات المسلحة

يعلن أن الجيش كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور

دل استقالة وزارة الهلالي وتكليف علي ماهر تأليف الوزارة الجديدة

٣ بيانات للواء محمد نجيب

وظهرت صور محمد نجيب وعرف بأنه سليل أسرة عسكرية عريقة ولد بالسودان في 20 / 2/ 1901 حاصل علي إجازة الحقوق ودبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي والقانون الخاص وكان يقضي أوقات فراغه في دراسة القانون حتي نال إجازته وكان من ضباط الرعيل الأول الذي كان شعارهم العلم حيث حصل بجانب هذه الدكتوراه علي شهادة أركان حرب واشترك في حرب فلسطين وجرح ثلاث مرات وعمل عزته قائدا للواء الثاني ثم قائداً للواء الرابع وكانت أهم المعارك معركة التبة 1986 وأصيب برصاصة اخترقت صدره من أسفل القلب نفذت من الظهر وقد منح عزته نجمة فؤاد الأول العسكرية مكافأة له علي هذه المعركة بالذات وانتخب لأول مرة رئيساً لمجلس إدارة النادي وكان ذلك في العام الماضي فنال سعادة اللواء نجيب بك أغلبية ساحقة وانتخب سيادته لأول مرة رئيساً لجمعية مشوهي الحرب فعمل علي تحقيق فكرها وبذل من وقته الكثير في سبيل أداء رسالتها وهو كاتب ممتاز وكثيراً ما كان يغذي المجالات العسكرية في شتي النواحي متزوج وله أربع بنات وولدين وهو مستقيم السيرة ومحبوب من الجميع وقد تخرج في الكلية الحربية الملكية في 23-1-1918 ورقي إلي رتبة ملازم أول في 1 / 7 /1924 وإلي رتبة اليوزباشي في 1/ 12 / 1931 وإلي رتبة الصاغ في 6 / 5 / 1938 وإلى رتبة البكباشي في 25 / 6 / 1940 وإلي رتبة القائم قام في 1 / 6

/ 1944 وإلى رتبة الأميرالاي في 1 / 2 / 1948 وإلي رتبة اللواء في 9 / 12 / 1950 كان هذا التعريف باللواء محمد نجيب كما نشرته الصحف في 23 / يوليو 1952 وكان الوجه الوحيد المعروف بين رجال الحركة ولم ينشر صور لأحدهم فكانوا جميعاً يعملون في الظل، كان اختيار علي ماهر من قبل الضباط الأحرار لأنهم يرون فيه أنه السياسي المصري الوحيد القادر علي إنجاز ما يريدونه من عمل فهو قد عرف فاروق منذ الصغر وأجلسه علي العرش وخدمه رئيساً لديوانه ورئيساً لوزرائه.

ذهب نجيب إلي علي ماهر وذكر له المطالب التي سيعرضها وهي طرد حيدر باشا وتعيين محمد نجيب قائداً عاماً للجيش ويتولي علي ماهر وزارة الخارجية والداخلية والحربية عرض علي ماهر مطالب الحركة فرضخ الملك لها وكلف علي ماهر من الملك بتشكيل الوزارة وتعيين محمد نجيب قائدا للجيش مع ترقيته لرتبة فريق – تناول الضباط رضوخ الملك فاروق لمطالبهم فاعتبروها ورقة الضغط علي الملك لتحقيق ما يرونه مناسباً لحركتهم فطلبوا منه طرد أفراد من حاشية القصر ومنهم انطوني بولي وكريم ثابت ومحمد حسني السليماني الخادم الخصوصي والياس اندرواس وكابتشي حلاق الملك الذي أصبح من رجاله قبل الملك هذا الطلب أيضا. اتصل الملك بالسفير الأمريكي وطلب منه أن يلغ بريطانيا بمساعدته للتدخل سريعاً وقد رفض كافري هذا الطلب علي أساس أن حكومته

ستعارض كل تدخل أجنبي (أثار البعض هذا الرفض بأن الثورة كانت علي علاقة بالإدارة الأمريكية) قبل قيامها وكان كافري يصفهم حين ذكرهم في المناسبات العامة بأولادي) كما طلب الملك من قائد القوات البريطانية في القناة أن يهرب من مصر مع حاشيته.



جاءت أنباء اتصال فاروق بالسفارات إلي مجلس قيادة الثورة فأيقنوا أن الظروف تساعدهم علي تحقيق أهدافهم فرأوا الإسراع بخلع الملك في الوقت الحالي وطلب مجلس قيادة الثورة من زكريا محيي الدين مع اثنين من الضباط الذهاب إلى الإسكندرية وحالما يتخذ علي ماهر ووزراؤه الجدد مكانهم في مقر الحكومة الصيفي يضرب زكريا الحصار حول مقر المنتزه الملكي أو قصر رأس التين علي مقربة من المنار المواجهة للميناء أو حولهما معاً لمنع الملك من الهرب وترسل

إليه في الإسكندرية 26 دبابة وسيارة مصفحة وبطارية مدافع ميدان أورطة من المشاة الآلية في وقت يسمح بالقيام بأحد الهجومين أو كليهما في الساعة الخامسة من مساء 25 يوليو وفي الوقت ذاته يراقب الأسطول الشاطئ ويتولي سلاح الجو مراقبة الجو ويسلم إلي الملك إنذار بمجرد أن يضرب الحصار حول قصريه ويتوقف شن الهجوم أو وقفه علي استجابة فاروق لهذا الإنذار.

وفي صباح 25 يوليو سافر محمد نجيب إلي الإسكندرية لتنفيذ المرحلة الأخيرة من الحركة ومعه بعض أفراد مجلس قيادة الثورة وبقي الآخرون في القاهرة مع جمال عبد الناصر في مقر القيادة بكوبري القبة وفي الإسكندرية كان مقرراً أن يقابل اللواء محمد نجيب علي ماهر باشا ويسلم الإنذار ليسلم إلي الملك ويتم خلع الملك في الساعة الخامسة كما كان مخطط ولكن عطل في كتيبة الدبابات جعل من الخطة أن تؤجل لليوم التالي فأرسل نجيب السادات إلي علي ماهر ليسلمه بأنه يستطيع أن يقابله حتي الساعة الثامنة من صباح اليوم الثاني وكان رئيس الوزراء قد فقد الاتصال بالملك منذ الليلة الماضية ولكن علم ماهر باشا من اللواء النجومي ياور الملك أن الملك اختفي في انتظار تدخل بريطانيا في الوقت الملائم بالملك لإبقائه علي العرش. بعد عودة السادات اجتمع الضباط لمناقشة ما سيحدث للملك إذا ما قبل الإنذار هل يعتقل ويقدم للمحاكمة مع حاشيته أو ينفي، لم يكن في وسعهم إطلاق سراحه

والسماح له بالبقاء في مصر خوفاً من تآمر أعوانه عليهم وكان جمال سالم يدعو لمحاكمة فاروق لجرائمه ولكن محمد نجيب كان رأيه أن يبعد عن مصر فلا ينبغي أن يحاكم ملك مهما كانت جرائمه كما لا ينبغي أن يسجن، إذاً سيبدو أننا أيضاً من المجرمين واحتد جمال سالم في المناقشة وطالب بإعدام الملك انتقاماً لمن سقطوا في حرب فلسطين اللواء محمد نجيب أصر على رأيه وأيده بعض الضباط ووضع حداً لهذه المناقشة الساخنة لإرسال جمال سالم إلي القاهرة ليأخذ براي بقية المجلس وسافر جمال سالم بطائرة عسكرية إلي القاهرة ليأخذ رأي من بقي في القاهرة وعاد جمال سالم إلي الإسكندرية ومعه رأي مجموعة القاهرة في مذكرة كتبها جمال عبد الناصر إلي محمد نجيب قال فيها (علي الحركة التحريرية أن تتخلص من فاروق في أسرع وقت ممكن حتي تواجه أمراً أعظم أهمية وهو الحاجة إلي تطهير البلاد من الفساد الذي سيخلفه فاروق وراءه، علينا أن نمهد الطريق لعهد جديد يتمتع فيه الشعب بحرياته الأساسية ويعيش في كرامة) إن العدل هو أحد أهدافنا ولن نستطيع أن نبقيه في السجن والانشغال بما هو صواب وما هو غير ذلك في قضية ونواجه خطر إهمال أهداف الثورة الأخرى فلنبق علي فاروق ونرسله إلي المنفي وسيحكم التاريخ عليه بالإعدام وكسب نجيب تأيد باقي أعضاء القيادة في نفي فاروق خارج البلاد.

في الساعة الثامنة صباحاً في يوم 26 يوليو توجه نجيب إلي مقر

الحكومة ومعه سليمان حافظ وكيل مجلس الدولة لتسليم الإنذار لرئيس الوزراء وكان سليمان حافظ وضع مسودة الإنذار ووثيقة التنازل عن العرش، لم يكن علي ماهر في مكتبه فقد استدعاه الملك إلي رأس التين وكانت قوات الجيش قد استولت عليه وعندما وصل نجيب أعطي له إنذار ليسلمه إلي الملك (من اللواء محمد نجيب بك القائد العام للقوات المسلحة)

أنه نظراً لما لاقته البلاد في العهدين الأخيرين من فوضي فاشلة شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لإرادة الشعب حتي أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن علي حياته أو ماله أو إقامته. ولقد سادت سمعة مصريين شعوب العالم من تماديكم في هذا المسلك حتي أصبح الخونة والمرتشون يجدون في ظلكم الحماية والأمل والثراء الفاحش والإسراء الماجن علي حساب الشعب الجائع الفقير ولقد أيد ذلك في حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الأسلحة القاسدة وما ترتب عنها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر بما قيد الحق زعزع الثقة في العدالة وساعد الخونة علي استعمال هذه الخطوة فأثري من أثري وفجر من فجر، وكيف لا والناس علي دين ملوكهم، لذلك فوضني الجيش الممثل لقوة الشعب أن طلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولي عهد الأمير أحمد فؤاد علي أن يتم ذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم السبت 26 يوليو1952 ومغادرة البلاد قبل

السادسة من مساء اليوم نفسه والجيش يحملكم ما يترتب علي عدم النزول علي رغبة الشعب من نتائج وتوجه علي ماهر باشا إلي رأس التين ليسلم الإنذار الذي وقع عليه الملك فاروق بشرط :

أن تصاغ وثيقة التنازل في عبارات لائقة.

أن يسمح للملك بالإبحار علي ظهر المحروسة وهي اليخت الملكي.

أن تطلق المدافع 21 طلقة عندما يعتلي الملك ظهر المحروسة وان يكون محمد نجيب في وداعه.

وافق نجيب علي الشروط علي أن تعود المحروسة إلي مصر بعد أن ينزل فاروق إلي نابولي وفي الساعة 12.30 توجه سليمان حافظ إلي مقر رئيس التين..

ليقدم الملك وثيقة التنازل التالية :

نحن فاروق الأول لما كنا نطلب الخير دائماً ونبغي سعادة أمتنا ورقيها ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة فنزولاً علي إرادة الشعب قررنا النزول علي العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد أصدرنا إلي حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا العمل بمقتضاه.

قرأ فاروق الوثيقة وسأل أن كانت قانونية وأكد له سليمان

حافظ أنها كذلك وأراد الملك أن يحذف عبارة نزولاً علي إرادة الشعب ولكن حافظ افلح في إقناعه أن يوقع دون تبديل وارتعشت يده حتى جاء إمضاءه غير واضح.

وبالرغم من أن حافظ أكد له أن لا ضرورة للتوقيع علي الوثيقة مرة أخري فأنه أصر علي إمضائها من جديد وجاء إمضاءه الثاني أكثر وضوحا.

الحوار الأخير

حانت ساعة الرحيل واستعد الملك فاروق وأسرته لركوب اليخت ظهر فاروق مرتديا بدلة أدميرال بحرى مصري وقد حضر رئيس الوزراء والسفير الأمريكي وسكرتيره إلي جانب عدد من الضباط والخدم وموظفو القصر وعزف السلام الملكي واصطف الحرس لتحيته ونزل الملك إلي الفرقاطة التي ستقله إلي اليخت وأنزل العلم الملكي واندفع موظفي القصر وخدمة في عويل وبكاء. وصل محمد نجيب إلي الرصيف ومعه جمال سالم والسادات وحسين الشافعي وإسماعيل فريد وقد وصلوا متأخرين بسبب زحام الناس لتحيتهم أثناء سيرهم إلي القفر وركبوا جميعا فرقاطة لنقلهم إلي اليخت وعند صعودهم إلي اليخت قابلهم الملك فحياة نجيب ورد الملك تحيته ومرت لحظة طويلة من الصمت وبدا محمد نجيب الكلام إلي الملك.

أتذكر إنني كنت الضابط الوحيد الذي قدم استقالته في سنة 1942

فقال الملك : نعم أتذكر ذلك

وقال نجيب : لقد خجلت من الإذلال الذي أنزل بمصر

فرد فاروق : أعلم اعلم ذلك

نجيب – كنا ندين بالولاء للعرش في سنة 1942 ولكن أشياء كثيرة وقد تبدلت منذ ذلك الحين.

الملك : نعم أعلم ذلك ولقد تبدلت أشياء كثيرة

نجيب : لقد اضطررنا إلي فعل ما فعلناه

رد فاروق : أعلم ذلك لقد فعلتم ما كنت أنوي دائما أن أفعله أنا

بالرغم من هذا الرد حير محمد نجيب ومن معه فقد كانوا لا يعلمون أن الملك فاروق كان ينوي تحديث الجيش وتسليحه وإعادة هيكلته فقد اتفق مع أحد القادة العسكريين الألمان والمعروف عنهم الحنكة العسكرية لتدريب الجيش المصري ولكن الأحداث لم تسعفه أن يفعل شيئا .. واستطرد فاروق حديثه أسف إذ لم أستقبلكم في الرصيف ولكنكم أمرتموني أن أغادر مصر في الساعة السادسة وقد بررت بوعدي وتصافحوا جميعا وأكمل فاروق حديثه معهم.

أملي أن تهتموا بالجيش وأن تعلموا أن والدي قد أنشأه وختم حديثه قائلا:

23 يوليو

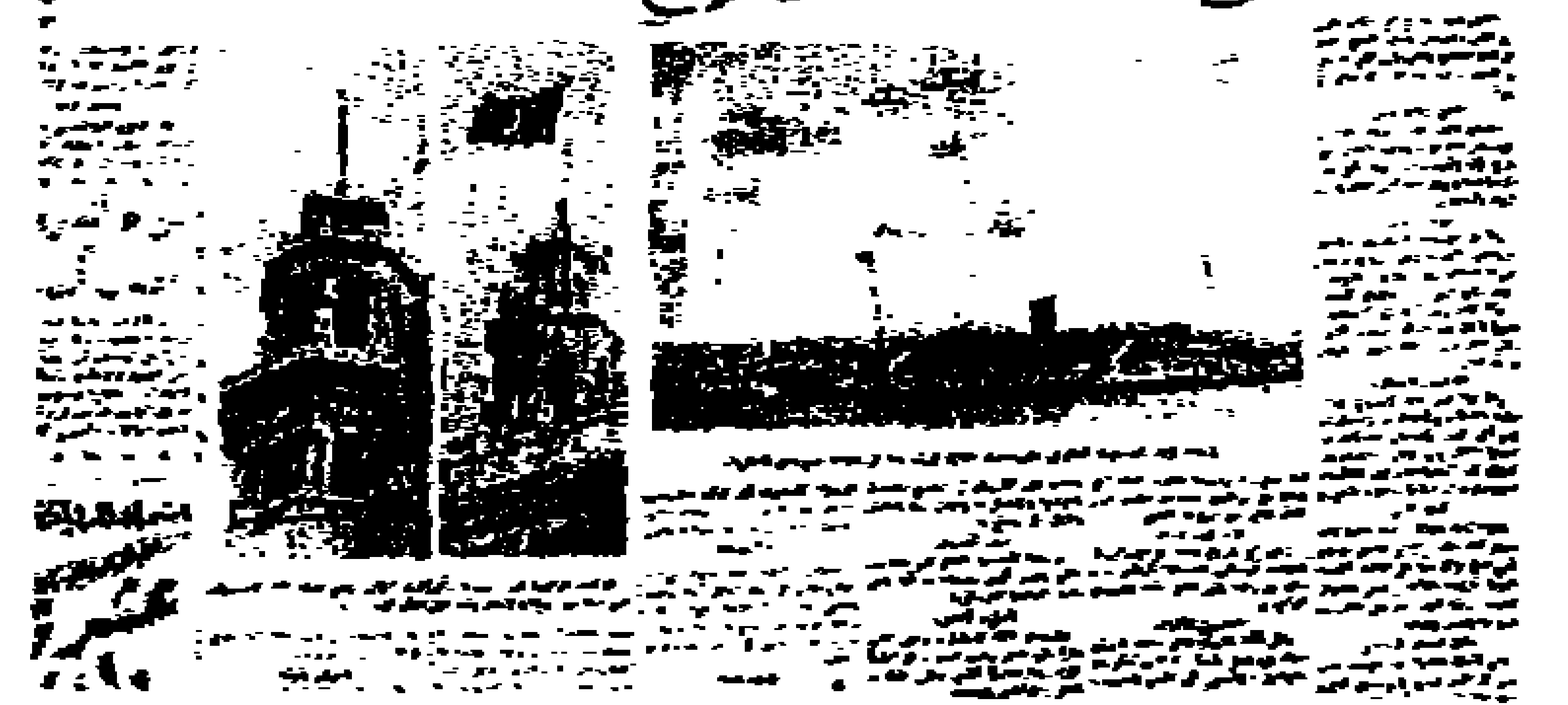
"ستكون مهمتكم صعبة أنكم تعلمون جيدا أن حكم مصر ليس بالأمر الهين"

الملك يتنازل عن العرش للأمير أحم

الجيش يحمل الملك مسئولية الفساد في
ويطالبه بالتنازل عن العرش والسفر إلى الخارج قبل ا

الملك السابق غادر البلاد على اليخت

رفعة مصطفى النحاس باشا وسراج الدين باشا يصلان اليو



كانت هذه أخر كلمات فاروق قبل أن يغادر مصر. رحل فاروق ورحل معه نظام أسرة حكمت مصر قرابة **150** عاما.

رحل فاروق وغابت معه شمس مرحلة ماضية وأشرقت شمس عهد جديد بالشعب والبلاد مرحلة جديدة من مرحلة الحركة الوطنية التي أثمرت عن قيام أول حركة عسكرية ناجحة وتحققت أهدافها بعد فشل حركة عرابي العسكرية بما أن حركة عرابي جاءت بالاحتلال إلا أن حركة يوليو **1952** أطلت برأسها لتترح من الأرض الوطن الاحتلال وكانت في أوج نجاح الحركة الوطنية.

وكانت البداية.........

* * *



والي الملتقي مع الكتاب القادم.

المصادر والمراجع

ثورة 1919 كما عشتها وعرفتها	محمد كامل سليم
أبو الثائرين الفريق عزيز المصري	مذكرات
في أعقاب الثورة المصرية	عبد الرحمن الرافعي
مذكرات عبد اللطيف البغدادي	مذكرات
والآن أتكلم	خالد محي الدين
حرب التحرير الوطنية	كمال رفعت
قصة ثورة يوليو	أحمد حمروش
23 يوليو أطول يوم في التاريخ	جمال حماد
مصير مصر	الرئيس محمد نجيب
صفحات مجهولة	الرئيس أنور السادات
فلسفة الثورة	الرئيس جمال عبد الناصر
مقدمات ثورة يوليو	عبد الرحمن الرافعي
مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية	عبد الرحمن الرافعي
قصة الثورة كاملة	الرئيس أنور السادات

الصحف

جريدة الأهرام

جريدة المصري

جريدة البلاغ

جريدة المؤيد

الفهرس





كان اعتقال الزعيم وصحبة الشرارة المنتظرة لقيام ثورة عارمة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البلاد، فلم تنفجر الثورة انفجار القنبلة ذات الدوي القوي القصير والمؤقت، ولكن الثورة كانت أشبه بحريق هائل شامل، بدأته شرارةٌ زحفت وزحفت حتى وصلت إلى هشيمٍ مملوء بالديناميت وشتي أنواع المتفجرات، ففي اليوم التالي من اعتقال (سعد) ورفاقه، قام طلاب المدارس العليا بالخروج بمظاهرات سلمية في القاهرة، فقام الجنود البريطانيون بإطلاق الرصاص عليهم لتفريقهم؛ فقتلوا وجرحوا العشرات مما جعل المظاهرات تستمر على نطاق أوسع وأشمل، فانضم إلى المظاهر[...] الشعب من العمال والمحامين ورجال القضاء والأطباء والمعلمين فل[...] ميدان في القاهرة والإسكندرية من مظاهرات قابلها الجنود البر[...] بالغة، إذ أمطروا المتظاهرين كل يوم وابلاً من الرصاص، فسقط[...] القتلى والجرحى.



الناشر: دار ليلى للنشر والتوزيع

5